كَانَ يَا مَا كَانْ

القصص الشَّعْبيَّة

موسوعة ميسَّرة للصِّغار

الجزء الأول

١٩٩٧

إصدار
مجلة الحياة للأطفال

كَان يَا مَا كَانْ

القصص الشَّعبيّة

موسوعة ميسّرة للصّغار

الجزء الأول

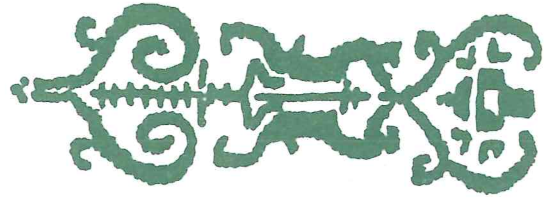
مُخْتاراتٌ مِنَ الْحِكاياتِ الشَّعْبِيَّةِ الفِلَسْطِينِيَّةِ لِلأَطْفالِ

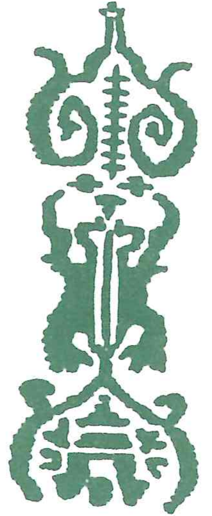


د. عبد اللطيف البرغوثي
جامعة بير زيت

١٩٩٧

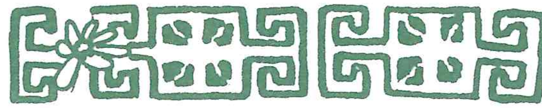
إصدار
مجلة الحياة للأطفال
بدعم من التعاون







الناشر: مجلّة الحياة للأطفال.
حقوق الطبع: مجلّة الحياة للأطفال ص.ب. ٤٦٥٤١
حيفا ٣١٤٦٤
تلفون: ٠٤/٨٦٧٧٦١٩ – ٠٤/٨٦٤١٦٩١
فاكس: ٠٤/٨٦٤١٦٩١
التصميم: محمد بدارنة وجاك روفا.
الرسومات: لودا جلبشه وأميرة الديك.
الصور الفوتوغرافية: إميل عشراوي.
مراجعة النصوص: د. محمد جواد النوري.
الطباعة: مطبعة الشرق العربية، القدس.



صَدَرَ عن مجلّة الحياة للأطفال
مجموعة كتب للأطفال،
وعن الأطفال وهي:

* «ألعاب ذهنية للأطفال»
* «أجمل مئة قصيدة»
* «اضحك وحك دماغك»
* «ما أحلى الرّوضة والبستان»
* «أدب تربية وفنون الأطفال»
* «كاسيت أغاني للأطفال – زرياب الصغير»
* «ومجلّدات سنوية لمجلة الحياة للأطفال»
* «سلسلة قصص كان يا مكان»

ولا أَجْمَلَ مِنْ صُنْعِ الفَرَحِ وزَرْعِ التراثِ والفنون الشعبيّة في حياةِ أَطفالِنا وصِغَارِنا، فشكراً للذين ساهموا في إصدار هذا الكتاب، الذي اعتبرُهُ محاوَلَةً جَادَّةً في صُنْعِ منتوجٍ مِنْ منتوجات التراثِ والفرحِ لصغارنا.

شكراً أو قُل أرطالاً من الشُّكْرِ الى الدكتور عبد اللطيف البرغوثي الذي أعدَّ موادَّ الكتابِ، وإلى الرّسامة لودا جلبشه على دورها في إعداد الرسومات واللوحاتِ التي تليقُ بمنتوجِنا، الى المصوّر إميل عشراوي على مَنْحِهِ إيانا مجموعةً من الصُّوَرِ الفوتوغرافية، إلى المصمِّم الفنّي جاك روفا الذي شاركَني مهمَّةَ تصميم الكتاب فنّياً، إلى الآنسة مها أبو جبنة على دورها في طباعة مواد الكتاب، الى الدكتور محمد جواد النوري على دوره في مراجَعَة نصوص الكتاب.

وأقدّم أرطالاً من الشكر الى أصحاب المصادر والمراجع التي استعنّا بها، ومسك الختام أُقدّمه الى المؤسسات الداعمة لهذا المشروع.



ACFA ***is proudly thanking:*** cfd, Diakonia, Broederlijk Delen, Caritas, Misereor, Kinder Missioswerk, Norwegian People's Aid, CCFD, WACC, Dutch & Deutch Embassies ***for their direct & indirect support.***

اهـداء

الى جدَّتي، التي كَحَّلَتْ عينيَّ بجمال أَثوابِها، وقصَّت عليَّ من القصصِ الشعبيّة الفلسطينية، ما جعلَ مني طفلاً يطيرُ على أجنحةِ الخيال.

إلى أُمّي، التي حصدَتْ بمنجلِها قمحَنا، ومن طحينِهِ خبزَت في الطابونِ خُبْزَنا، ورشَّتْ قليلاً من زعترِ بلادي فوق أرغفتِنا، لتصنعَ لي من المناقيشِ زوّادةً أُسكِتُ بها جوعي كلّما زَقْزَقَتْ عصافير بطني.

إلى كلِّ الأَطفالِ العرب، أَحْفادِ أَجدادِنا اليوم، وأَجْدادِ أحفادِنا غداً. إليهم، وأنا أتمتّع بأَخبارهم، وهم يتناقلون تراثَنا من جيلِ الى جيل، بالفخر والاعتزاز، وعلى أثوابِهم يتراقَصُ الزُّخْرُفُ الفِلسطينيّ، من شجرة سَرْوٍ الى سُنْبُلَة قمحٍ. إليهم أُهدي هذه المجموعةَ من الكتب التراثية، ومواويلُنا تترنّخ في حناجرهم، ممزوجةً بأغاني الفرح، والمرحِ، والميلادِ، والوطن. نعم، وعلى جَبَهاتِهم يُخَطُّ الانتماءُ بالأَحْرفِ العربيّة، لكنْ مَعَ دعوةٍ مفتوحَةٍ للمحافظة على الفِكْر الأَصيل من ثقافتِنا، مصحوبةٍ بالتجديد المُبْدِع.



المحب
محمد بدارنة
رئيس تحرير
مجلة الحياة للاطفال

تمهيد

تراثُنا الشَّعبيُّ، فيهِ من الجمالِ، والحكمةِ، والنُّبوغِ، والأَحاسيس، ما يشدُّنا إِليه. قد صنعُهُ أَجدادُنا وجدّاتُنا، جيلاً بعد جيلٍ، لكنْ، يَحِقُّ لكلِّ طفلٍ فينا، أَن يتمتَّعَ بِجماليّاتِهِ، وأَنْ يتعرَّفَ إلى أركانِهِ وأَن يستكشفَ أسْرارَه، وأَن يرضَعَ من شَهْدِهِ، وأَن يَسْتَرْشِدَ بِهِ، وهو بصددِ بناءِ مستقبلِهِ دون أَن يَنْسى ماضِيَهُ.

تراثُنا عريقٌ أَصيلٌ رائعٌ جميلٌ، فكيف لا نصوغُهُ في أُسلوبٍ يليقُ بكم أَيُّها الصِّغارُ، أيُّها الأَطفالُ والفتيان؟

أَحبَّتي الصّغار: حينَ تُصبحونُ أَجداداً، لا تَبْخَلُوا على أَحْفادِكم بِتَعْريفهم تُراثَنا الشّعبيَّ الرّائع!

محمد بدارنة



كَانَ يَا مَا كَانْ

المحتويات



الحكايَةُ الشَعبيَّةُ!



ما زلْتُ أتذكَّرُ صُورَةَ جَدّتي، أُم عَلي، وهيَ تُطِلُّ عَلَينا مساءَ كلِّ يومٍ، وَجْهُها كالقَمَرِ، ابتسامَتُها كَهِلالِهِ، والنَّار ترقُصُ في كانونِ النّارِ فَرِحَةً كفرحِ الصّغار من حولها، فقد أَحطْنا الكانُون من جِهاتِه الثمانية، فَعَدَدُ إخوتي وأخواتي يَكفي لِتشكيلِ فَريقٍ مُتكامِلٍ في كرةِ القدمِ، بما في ذلك لاعبو الاحتياط، لا بل والحكمُ أيضاً إن شئتم وَقدْ يَتبَقّى الصَّغير فائضاً، لينضَمَّ الى جُمهورِ المُشجِّعين.



تَدْخُل جَدَّتي بَيْتَنا مَساءً فَنُلاقِيها بالتِّرحاب، لا أَقَلَّ عن تِرحابنا بالعيدِ، ونحفَظُ لها مكاناً خاصًّا بيننا، نَعَم حَوْلَ كانونِ النّار، الذي حَمَلَتْهُ أمّنا على التَّوِّ من «قُصَّة» البَيْتِ أو صَحْنِهِ، بَعْدَ أن تَقَطَّعَ الحَطَبُ فيهِ قِطَعاً، أو قُلْ «قَطَّعَتِ النار»! ويبدأُ اللقاءُ الثقافيُّ التراثيُّ والحضاريُّ في عزِّ الشتاء وتبدأُ جَدّتي حَديثَها، بجُملَتِها المأثورةِ «كانْ يا مكان، يا سَامْعين الحَكيِ والكلامْ، بِدْكو نِحْكي ولاّ نْنامْ!؟»









الأَجْواءُ التي خَيَّمتْ علينا أَثناءَ روايةِ الحكايةِ الشعبيَّةِ، الدفءُ، السَّكينةُ والطّمأنينةُ، مَنْظَرُ النّار وهي تموجُ بلونها الذهبيِّ المائلِ الى الحُمرة، وصوتُ الرَّوايةِ، جَدَّتي، يرتفعُ تارةً، وينخفضُ تارةً أُخرى، والإصغاءُ الجيّدُ الذي مَنَحْناه لجدَّتي طمعاً في فَهْمِ حِكايَتِها. كلُّ هذا شَكَّلَ أَرْضيَّةً سَاحِرَة الجَمالِ لِتَفاعُلِنا مع الحِكايَةِ الشعبية، أَحداثِها معانيها، وأهدافها.

لا أذْكرُ نفسي يوماً سَبَحْتُ في بحرِ الخيالِ مثلما حَصَلَ لي ذلك مع جدَّتي، في كُلِّ أمسِيَةٍ من أمسياتِ الشِّتاءِ. والخيالُ بالنسبة لي كطفلٍ صغيرٍ هوَ لونٌ خاصٌّ ومميَّزٌ من الاستمتاع واللذَّة!

لا أَذْكُر نفسي يوماً إنتظَرْتُ أحداً، مشتاقاً على أحرِّ من الجَمْر، مثلما كُنتُ أنتظر وصولَ جَدَّتي، إلى بَيْتِنا، كلَّ مَساء من أُمسياتِ الشِّتاء.

لا أَذْكُر يوماً في عمري تَمَتَّعْتُ فيه بِرِحْلَةٍ، برفْقَةِ أَحَد، مثلما تَمَتَّعْتُ بِرِحْلاتي مع

كان ياما كان

١ ـ مقدمة للكبار



هذه مجموعةٌ مختارةٌ من حِكاياتِنا الشَّعْبيَّةِ، تَوارثَها الآباءُ والأمهاتُ عَنِ الأَجْدادِ والجَدَّاتِ، وأَوْرَثوها للأَحْفادِ والحَفيدات. ونحنُ نعلمُ أنَّها تُرْوَى مشافهةً من جيلٍ إلى جيلٍ، بلهجتِنا الفِلَسْطينية الدَّارجةِ، ونعلمُ كذلك أن كتابتَها بلُغَتِنا العربيَّةِ الفُصْحَى، قد تُؤَثِّرُ عليها سَلْبياً، لكنْ، مع ذلك، آثَرْنا كِتابَتَها بالفُصْحى المُبَسَّطةِ لأَسْبابٍ عَديدةٍ منها:



أ. أنَّ الصِّيغَةَ العامِيَّةَ للحِكايةِ الواحِدَةِ تختلفُ، بحُكْمِ شفاهيتها، كثيراً أَو قليلاً من مِنْطَقَةٍ إلى أُخرى، تبعاً لخصوصية المِنْطقة ولهجتِها، مما يَخْلِقُ صعوبةً في قراءةِ الحكايةِ وفَهْمِها، في حين تُيَسِّرُ كتابَتُها بالفُصْحى المشكولةِ مُطالعتَها وَفهْمَها.





ب. أن هذه المجموعةَ من الحِكاياتِ، تُصْبحُ مقروءةً ومفهومةً لدى الأَطْفالِ العربِ، الفِلَسْطينيين وغَيْرِ الفِلَسْطينيين، في مُخْتَلِفِ أَرجاءِ الوطنِ العربي، إذا كُتِبَتْ بالفُصْحى، على حين تَصْعُبُ قراءَتُها، وَيَصْعُبُ فَهْمُها لو كُتِبَتْ بالعاميَّةِ الفِلَسْطينيةِ.



ج. أَنَّها تَسْتهدفُ الأطفالَ الفِلَسْطينيين أَيْنَما وُجِدوا (على أرضِ فِلَسْطينَ وفي الشَّتات) مِمَّنْ هُمْ في سنِّ مرحلةِ الدراسةِ الابتدائيةِ (٦ ــ ١٢ سنة)، ولذلك، فإنَّ كتابَتَها باللُّغَةِ العَرَبيةِ الفُصْحى المُبَسَّطةِ المشكولةِ، سَتُساعِدُهُمْ في تَعَلُّمِ هذه اللغةِ، بالإضافةِ إلى أَنَّها تُوصِلُ إليهم مُحْتواها الشعبيَّ الفِلَسْطينيَّ، بكلِّ ما ينطوي عليه من مُقَوِّماتٍ، وأسرارٍ، وطُرُقِ الحياةِ الشَّعْبيةِ الفِلَسْطينيةِ.



وبالنَّظَرِ إلى أهميةِ الحكايةِ الشعبيةِ، في تَنْميَةِ الطِّفْلِ، وتنشِئَتِه، سنوردُ، فيما يلي، وعلى صورةِ نِقاطٍ موجَزَةٍ، العواملَ

الرئيسيةَ الفاعِلةَ، التي تُقَدِّمُها الحكايةُ للطفل:

١ ــ تعدُّ الحكايةُ من أهم أنواع الأدب وأنجحه في تنمية الطفل نَفْسياً وفِكْرياً، وكلما كانت الحكايةُ مَرِنةً مُتسامحة، كانت ملائمةً لإتاحةِ الفُرْصةِ للطفلِ للكشفِ عن الأَشْياءِ بِنَفْسه، مما ينمّي فيه النزوعَ الذاتيَّ نحو البَحْثِ، والتنبؤ، والاختيارِ والاستقلالِ.

٢ ــ إما أن تكون الحكاياتُ واقعيةً؛ بمعنى أَنها تَسْرُدُ حوادثَ وَقَعَتْ بالفعلِ، أو يمكنُ أَنْ تَقَعَ، وإما أن تكونَ حكاياتِ خوارقَ خياليةٍ. وَمَعَ أَنَّ حكاياتِ النوعِ الأَوّلِ مفيدةٌ في تقديمِ معارفَ جديدةٍ للطِّفْلِ، وفي تنميةِ حَصيلتهِ اللُّغَويَّةِ (مفرداتٍ، وتراكيبَ)، إلا أنها تظَلُّ أَقلَّ فائدةً من حكاياتِ النوعِ الثاني. لذلك، فإنَّ الاختيارَ، في هذه المجموعة، سيركِّزُ أَكْثَرَ على النوعِ الثاني، بما فيه حكاياتُ الجانِ، والغيلانِ الشَّعْبيَّةِ، مُدوَّنَةً بلُغَةٍ









عربيةٍ فُصْحى مُبَسَّطةٍ، لكِنْ، مَعَ الحِفاظِ الشديدِ على جَوْهرِ الحِكايةِ، ودونَ محاولةٍ لِشَرْحِها، أو اختصارها، أو تغييرِ بِنْيَتِها، حتى لا يُؤَدِّيَ أيُّ تدخُّلٍ كهذا إلى إفسادِها، أو إضاعَةِ رِسالَتِها التِّلقائيةِ للطِّفْل.



٣ ــ هذا التفضيلُ للحكايةِ الخياليةِ، على الواقعيةِ، يَسْتَنِدُ إلى ما تَوَصَّلَ إليه الكثيرون من عُلماءِ النَّفْسِ من أنَّ الحكايةَ الشعبيةَ الخياليةَ تمتازُ بخصائصَ من أهمِّها:

أ. مخاطبةُ الطفلِ بشكلٍ رمزي، يتيحُ له حريةَ التَحرُّكِ، والتعلُّمِ منها بالقَدْرِ الذي يَسْمَحُ به نُمُوُّه.



ب. وفي الوقتِ نَفْسِه، تبقى العناصرُ الأُخرى في لا شعوره، تَعْمَلُ عَمَلَها في الخَفاءِ، ولا تظهرُ إلاّ عِنْدَما يُصْبِحُ الطفلُ قادراً على هَضْمِها.

ج. هذه الحكايةُ لا تَفْرِضُ واقعاً ذا بُعْدٍ واحِدٍ، يَتَحَتَّمُ على الطفلِ أن يَقْبَلَ به،



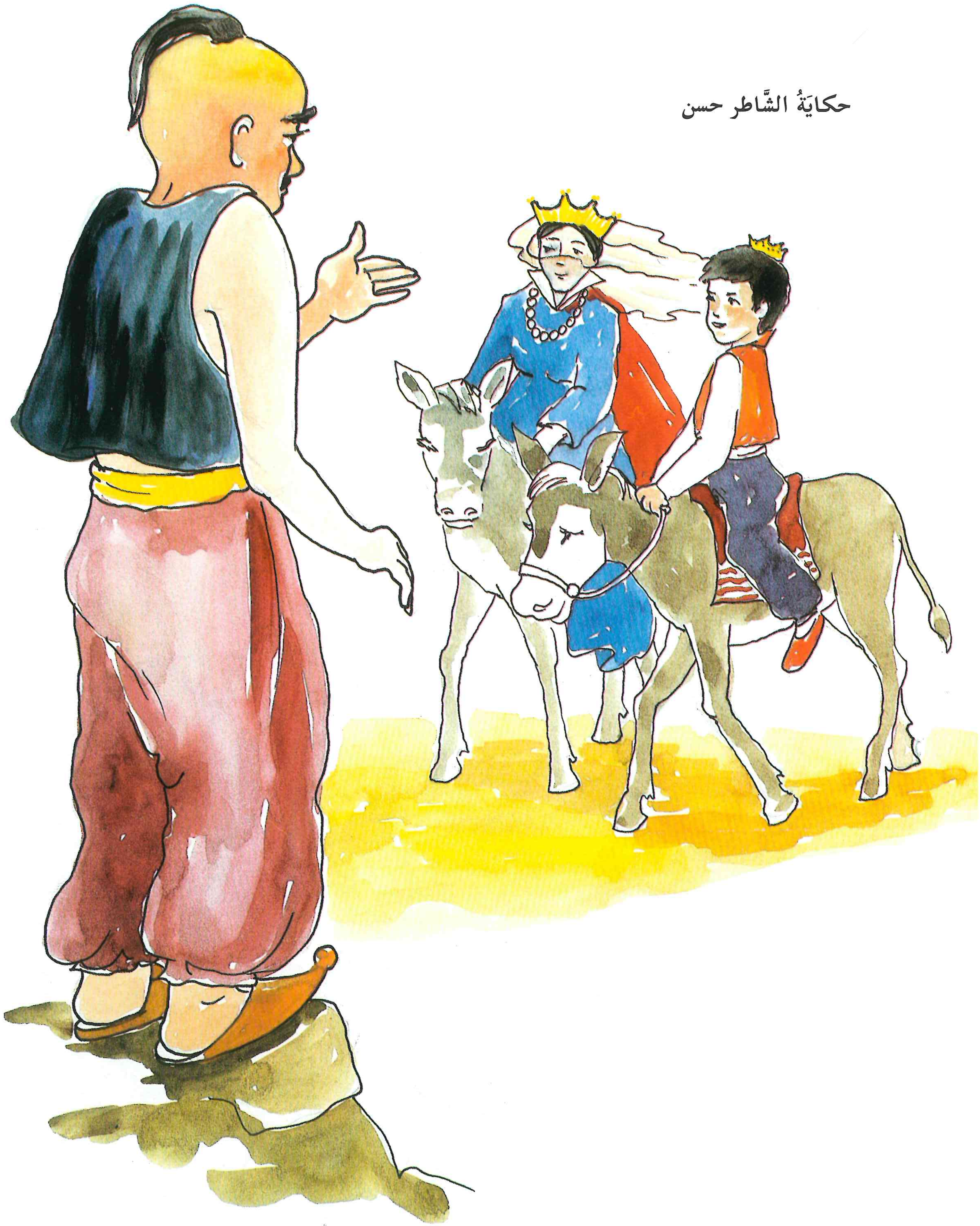
ويعمل بموجبه، بل تُدَغْدِغُ خيالَهُ وتُنَشِّطُهُ، وتَتْرُكُ له حريةَ الفَهْمِ والاخْتِيارِ.

٤ ــ الحكاياتُ الشعبيةُ من أنجحِ ألوانِ أَدبِ الطُّفولةِ في إشباعِ احتياجاتِ الطِّفل؛ فهي تَمْلِكُ، بشكلٍ غيرِ مُتناهٍ، معلوماتٍ وإيضاحاتٍ عن المسائلِ الخاصةِ بالكائنِ البَشَرِيِّ وحلولها في كلِّ المجتمعات. لذلك، فهي أقدرُ، في هذا المجال، من أيَّةِ قصَّةٍ أُخْرى في مُتَناولِ إدراكِ الطِّفْل، المدعوِّ في كلِّ لَحْظةٍ إلى الاحتكاكِ بالمُجْتمع الذي يعيشُ فيه. إنها تعلِّمُ الطِّفْلَ أن يتكيَّفَ مَعَ ظُروفه، شَريطَةَ أنْ تكونَ وسائِلُه الخاصةُ قادرةً على السَّماحِ له بذلك. وهذه المِيزَةُ تَنْبُعُ من حقيقةِ أَنَّ الحكايةَ الشعبيةَ، بتأثيرِ تَرْديدِها ورِوايَتِها للأَطفال، وتَعْديلِها في ضَوْءِ تفاعُلِهم مَعَها عَبْرَ أَجيالٍ وقُرونٍ عديدةٍ، أصبحتْ، أكثرَ فأكثرَ، مُرْهَفَةً، ونقيةً، ومُحَمَّلَةً بمعانٍ ظاهرةٍ ومُسْتَقِرَّةٍ، تمكِّنُها من التوَجُّهِ في آنٍ واحدٍ، الى مستوياتِ الشخصيةِ البشريةِ كافةً، ناقلةً رسائِلَها بطريقةٍ تلامسُ









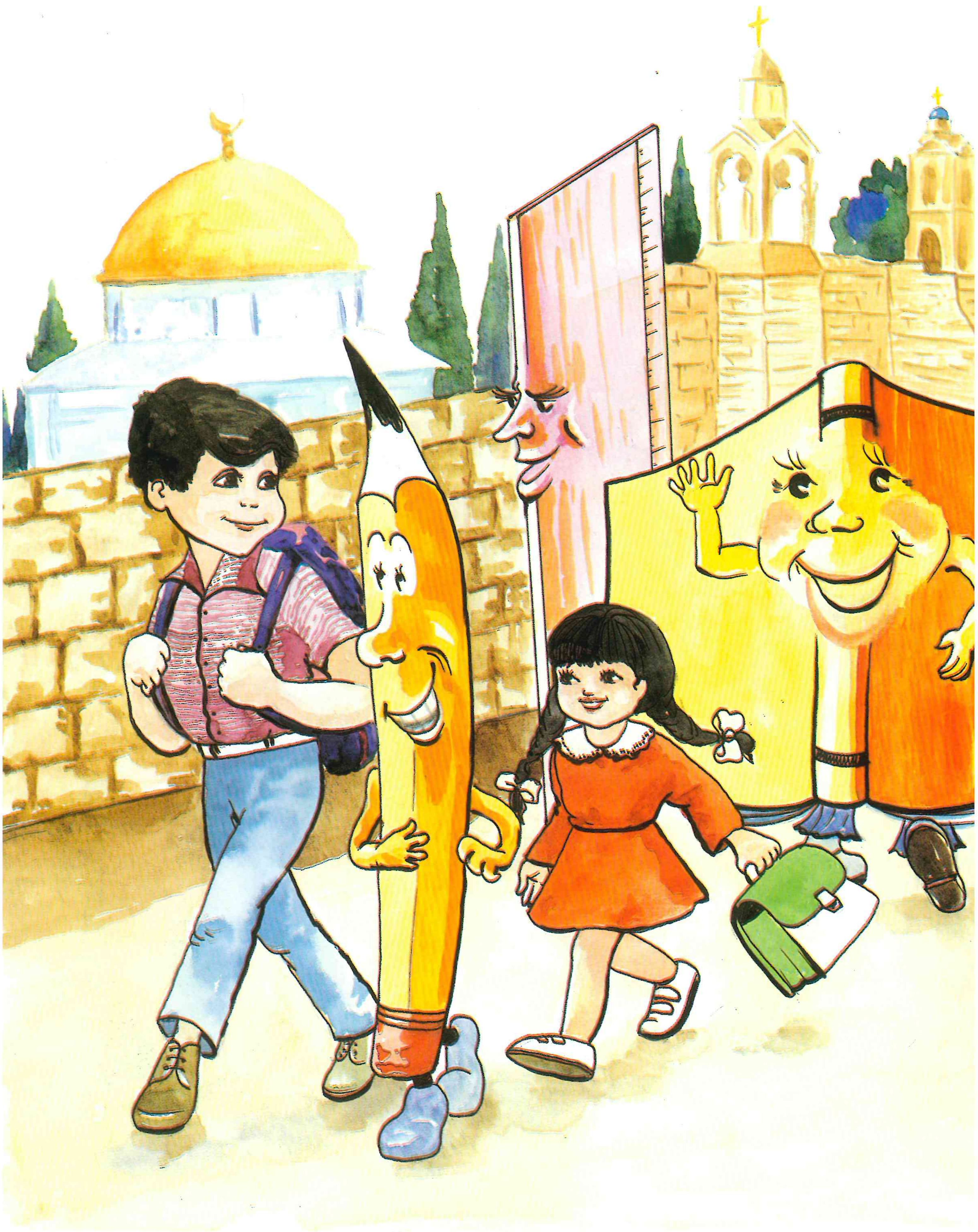


حكايَةُ الحاكِمِ والقاضي



حكايَةُ البطل والضَّبْعَيْن







حكايَةُ «بُلبلِ الصَّيَّاحْ»



حكايَةُ الأولاد السَّبعَةِ «الذين سُحِروُا إلى عُجول»





مَعَها العَقْلَ الجاهلَ الأُميَّ للطفلِ، كما تلامسُ عَقْلَ البالِغِ الكامِلِ.

٥ ــ وحتى تَلْفِتَ الحكايةُ ٱنْتباهَ الطِّفْلِ، فلا بدَّ أَنْ تُسَلِّيَهُ، وتثيرَ فُضولَهُ. وهي، لكي تُثْرِيَ وجودَهُ، يَجِبُ أن تَتَّصِفَ، أيضاً، بما يلي:

أ. أنْ تَحُثَّ مُخَيِّلَتَهُ وتُحَرِّكَها.

ب. أنْ تُساعِدَهُ على النموِّ العَقْلِيِّ.

ج. أنْ تُساعِدَهُ على أنْ يرى انْفِعالاتِه بوضوح.

د. أن تكونَ متوافقةً مَعَ هَواجِسه ومطامِحِه.

هـ. أن تُعينَهُ على معرفةِ مشاكِلِه، واقتراحِ بَعْضِ الحلولِ لها.

و. أن تَتلاءَمَ مَعَ جميعِ مظاهرِ شَخْصيته.

ز. أنْ تُعْطِيَهُ الثِّقَةَ بِنَفْسِهِ وَبِمُسْتَقْبَلِه.

٦ ــ المواصفاتُ الواردةُ في البَنْدِ السابق، تتوافرُ في حكاياتِ الخوارقِ؛ أَي الحكاياتِ الخياليةِ التي تَرْتَبطُ ارتباطاً وثيقاً باحتياجاتِ الطفلِ إلى اللَّعِب، باعْتِبارِها وسيلةً تخلصه من مشاكِلِه وتوهُّماتِه. فالكثيرُ من عناصرِ







الحكايةِ الشعبية، ولا سيما حكايةُ الجان، بما فيها من عناصِرِ القَسْوَةِ تَتَوافَقُ مع عَوالِمِ الطفلِ الباطنيَّة. لذلك، فإنَّ الطفلَ يستطيعُ، بسهولةٍ أن يطابقَ بين ذاتِه، وظروفه، والحكاية، اثناءَ روايتها له؛ فالمَلِكُ الطيِّبُ، والمَلِكَةُ الطيِّبةُ، هما، بالنسبة له، الجانبانِ الخَيِّرانِ من والدِهِ ووالِدَتِه. والأعمالُ القاسيَةُ، التي تقومُ بها الشخوصُ السيئةُ في الحكاية، وهي، غالبا، من العمالقةِ، والغيلانِ، والوحوشِ الشَّرسةِ، تمثِّلُ للطفلِ الجوانبَ السيِّئَةَ من والِدَيْهِ، كما تمثِّلُ رَغْباتِه غَيْرَ المُتَحَدِّدَة. أمّا هزيمةُ الشَّرِّ أمامَ ذكاءِ الضعيف ودهائه، فإنها تتطابقُ مَعَ رَغْبَةِ الطِّفْلِ في أنْ يكونَ قوياً.

٧ ــ الأطفالُ يحتاجونَ إلى تجريبِ كلِّ أنواعِ المشاعرِ المختلفةِ، وليس مشاعرَ الحبِّ والسَّعادةِ فقط وإنما مشاعرَ الخوفِ، والرُّعب والغضبِ، والعُدْوانيَّةِ أيضاً. والتجربةُ، وَحْدَها، هي التي تُمكِّنُ الطِّفْلَ من تعَلُّمِ السَّيطَرة على عواطِفِهِ هذه، ومن التَّعرُّفِ إلى







مدى حُدوثها من خِلالِ الأَشْياءِ الخياليَّةِ في الحكاية. وبهذه الطريقةِ، فإنَّ حكايةَ الجانِ ومثيلاتِها، يمكنُ اعتبارُها مظهراً عاطفياً يتيحُ للعُقْدَةِ النَّفْسيةِ مجالاً تُنَفِّسُ، من خلاله، عن ذاتها، كما أَنَّ هذا النوعَ من الحكايات، إذا ما اسْتُعْمِلَ بمهارةٍ، يُمْكنُ أن يكونَ وسيلةً تُساعِدُ الطفلَ على التَّكَيُّفِ مع الواقعِ، بإعانَتِه على تمييزِ ما هو خياليّ، مما هو حقيقيّ.

٨ ــ إن حكاياتِ الخوارقِ إذا اسْتُبْعِدَتْ منها العناصرُ شديدَةُ الرُّعْبِ، وإذا رَوَتْها أمٌّ محبوبةٌ في جوٍّ من الأمان، أو معلمةٌ لا تَسْمَحُ لنَفسِها أن تَشْطَحَ بها حيويةُ خيالاتِها وقوتُها، إلى التعبير عَنْ أوْهامِها السَّادِيَّة، وإذا سُمِحَ للأطفالِ أن يُعَبِّروا عن مشاعِرهم أثناءَ الروايَةِ وبَعْدَها ــ هذه الحكاياتُ يُمْكِنُ أن تكونَ جِسْراً مفيداً بيْنَ أَخلاقيةِ عالَمِ الطفلِ الباطنيِّ البُدائيَّةِ نوعاً ما، والأخلاقياتِ الأكثرِ تنظيماً التي ينتظرُها منه والده ومعلِّمُوه.



٩ ـ الأساطيرُ، وقصَصُ المغامرة، والقِصَصُ العائليَّةُ، وحكايات الجان، تُوفِّر كلُّها مواقِفَ لها جاذبيةٌ مباشِرَةٌ للأطْفال، كما أنَّها تثيرُ التَّأمُّلَ والتعليقَ على السلوك. والأطفالُ، في مرحلةِ الدراسةِ الابتدائية (٦ ـ ١٢ سنة)، يَظلُّونَ تَحْتَ تأثيرِ مَشاعِرِ العُدوانِيةِ، والقلقِ والمخاوفِ التي لا يستطيعونَ التَّعْبيرَ عنها مُباشَرَةً، كما أنَّهُمْ يكونونَ عَلى وَعْيٍ بأسئلةٍ لا يَجْرُؤونَ على ترجمتها إلى كلمات، وهُمْ، أيضاً بحاجةٍ إلى مَعرفةِ كيفيةِ شعورِ الآخرين. وفي الحكاياتِ الخياليةِ، مجالٌ واسعٌ لمساعَدَتِهم على مُواجَهَةِ احتياجاتِهِمْ تلك، وذلك من خِلالِ التَّفاعُلِ مَعَ عَناصِرِ الحكايةِ المُخْتَلِفَة.



١٠ ـ التَّخَيُّلُ، في حياة الطفل، قبل الخامسة من العمر، تَخَيُّلٌ إبْداعيٌّ لا صِلَةَ له بواقعٍ ماضٍ، أو حاضرٍ، بل هو إبداعٌ لحياةٍ وَهْميةٍ بدافعٍ من رَغَباتِه، دونَ ضابطٍ، ودونَ سَعْيٍ لغيرِ المُتعةِ. وهذا اللَّونُ من التَّخَيُّل، يَقِلُّ بَعْدَ سنِّ الخامِسةِ، بسببِ الهدوءِ الذي





يَطْرَأُ على انفِعالِ الطفل، وتصبحُ الملاحظَةُ، والتجريدُ، عُنْصُريْنِ هامَّيْنِ في حياتِه العقليَة، دونَ استغناءٍ عن التخيُّلِ الإبداعي، الذي يُصْبحِ تَخيُّلاً مُنعَكِساً على المُسْتقبل، ومُوَجَّهاً إلى غايَةٍ عَمليَّة، أكْثرَ منه تَخيُّلاً مُطلَقاً من القُيودِ، فَضْلاً عن أنَّ الطفلَ يَسْهُلُ عليه، في هذه الفَتْرة، التّمييزُ بيْنَ الوَهْمِ والواقِع. وفي هذا الصددِ، تَفْتَحُ الحكايَةُ الشعبيَّةُ أبعاداً جديدةً لمُخَيِّلَةِ الطفلِ، الذي يَعْجزُ بمفرده ودونَ مَعونَةٍ من الحكاية، عن التوصُّلِ إلى تلك الأبعاد. وما هو أكثرُ أهميةً هنا، هو أنَّ شَكْلَ الحكايَةِ الشعبيةِ، وَبنْيتَها يَمْنحانِه صُوراً يستطيعُ أَنْ يُجَسِّدها في أحْلامِ يَقظَتِه، كما يُساعدانِه على توجيه حياته ووجوده بشكلٍ أفْضَلَ.



١١ ـ الطفلُ بحاجةٍ إلى أن يَلقِيَ، بشكلٍ رَمْزيّ، اقتراحاتٍ حَوْلَ طريقةِ معالجةِ المشاكلِ الوُجوديةِ ذاتِ الأهميةِ الحاسمةِ (كالموت، والشيخوخَةِ، والأمل في حياة أبدية)، وإلى أن يتوجَّهَ باطمئنانٍ نَحْوَ



النُّضجِ. والحكاياتُ الشعبيةُ تضعُ الطِّفْلَ، بصَراحَةٍ، في جوٍّ تِلكَ المشاكلِ الأساسيةِ في حياة الانسان، وتطرَحُها بلغَةٍ مُخْتصَرَةٍ ودقيقةٍ، فيتمكَّنُ الطفلُ، عِنْدَئذٍ، من مجابهةِ تلك المشاكلِ في شَكْلِها الضروريِّ الأساسيِّ؛ لأنَّ الحكايةَ الشعبيةَ تُبَسِّطُ الأوضاعَ، فترسُم أشْخاصَها بوضوحٍ، وتهملُ كلَّ التفاصيلِ الثانويَة، وتركِّزُ فَقَطْ على التفاصيل المُهمَّةِ للغاية، كما أن كلَّ الشخصياتِ تتوافقُ مَعَ نَموذَجٍ، ولَيسَ لشخصيةٍ منها عناصرُ فرديةٌ خاصة. والشرُّ، في الحكايةِ الشعبية، منتشرٌ كالخيرِ، والفضيلةِ، ويتجسدانِ، عَمَليًّا، في أشخاصٍ وأعمالٍ، كما أنَّهُما مَوْجودانِ في كُلِّ مكانٍ في الحياةِ الواقعيةِ، إذْ إنَّ كلَّ إنسانٍ لديه بعضُ الميولِ نَحْوَ هذا، أوْ ذاك.

١٢ ــ الحكايةُ الشعبيةُ موجَّهَةٌ نَحْوَ المستقبل، وهي تعْمَلُ بوصفها مُرْشداً للطِّفْلِ بوساطَةِ تعابيرَ يستطيعُ أنْ يُدركَها شعرُه ولا شعورُه، فتساعِدُهُ على رفْضِ الرَّغباتِ الطفوليةِ













في التَّبعِيَّةِ، وعلى أنْ يصلَ إلى وُجودٍ مُسْتَقِلٍّ أَكْثَرَ إعجاباً وإرضاءً. وفي الوقتِ الذي تسلِّيهِ فيهِ، فإنَّها تُنيرُ له ذاتَه، وتؤمِّنُ نُمُوَّ شَخْصيَّته، وهي غنيةٌ بالمعاني التي تُغْني الطِّفْلَ بمستوياتها المختلفة، بحيثُ لا تضاهيها أيَّةُ حكايَةٍ أخرى في ذلك.

١٣ ــ الحكايةُ الشعبيةُ تُغْني حياةَ الطفل، وتُعْطيها صِفَةً من الرَّوعَةِ، لسببٍ بسيطٍ يَتَمَثَّلُ في أنَّ الطِّفْلَ لا يَعْرِفُ كيفَ استطاعتْ هذه الحكايَةُ أن تمارسَ سِحْرَها عليه، هذا السِّحْر الذي يأتي، إلى حدٍّ كبيرٍ، من كونِ الطفلِ لا يَعْرِفُ، بدقةٍ، سَبَبَ إعجابه به. وإذا حاول الأهلُ، أوِ الراوي، شَرْحَ الأسبابِ، التي من أجْلها اهْتَمَّ الطفلُ، إلى حدٍّ كبيرٍ، بحكايةٍ معينةٍ، فإنَّ ذلكَ يَعني تدمير هذه الأهميةِ. والصحيحُ، أنَّ المعنى الحقيقيَّ للحكايَةِ الشعبيةِ وتأثيرها، لا يمكنُ المبالغةُ في تقدير أهَمِّيَتِها، لكنَّ رَوْعَتَها، لا يمكنُ أن تَتَحَقَّقَ، إلاّ إذا قُدِّمتْ في شَكْلِها الأصلي.

والطبيعَةُ اللاَّواقعيةُ للحكايَةِ الشعبية الخيالية

ـ وهي ما يأْخُذُهُ عليها العَقْلانيُّون ـ هي عُنْصُرٌ هامٌّ يُبَرهِنُ، بوضوحٍ، على أنَّ هذه الحكايةَ ليس هدفُها إعطاءَ المعلوماتِ المفيدةِ عن العالَمِ الخارجيِّ فقط، بل هو، أيضاً، جعلُ الفردِ واعياً بِسَيرورَتِه الداخلية. وعلى ذلك، فإنَّ شخصياتِها وأَحْداثَها، تُشخِّصُ وتصوِّرُ هذه الصراعاتِ والخُطُواتِ التي يُمكنُ أنْ تقودنا نَحْوَ إنسانيةٍ أعلى. ولأنَّ الحكايةَ الشَّعْبية مُقدَّمَةٌ بشكلٍ بسيطٍ وأليفٍ، لا يُخْضِعُ المُسْتَمِعُ لأيَّةِ متطلباتٍ، فهي بذلك تُجنِّبُ الطفلَ من الشعورِ بأنَّهُ مرغمٌ على التصرُّفِ بشكلٍ مُعَيَّن، فَتَحْميهِ، بذلكَ، من الإحساسِ بالدُّونيَّةِ، وفي الوقتِ ذاتِه، تُطَمْئِنُهُ وتعطيهِ الأملَ في المستقبلِ، وتُقدِّمُ له ـ ولا سيما في ختامها ـ الوَعْدَ بحلٍّ سعيدٍ.









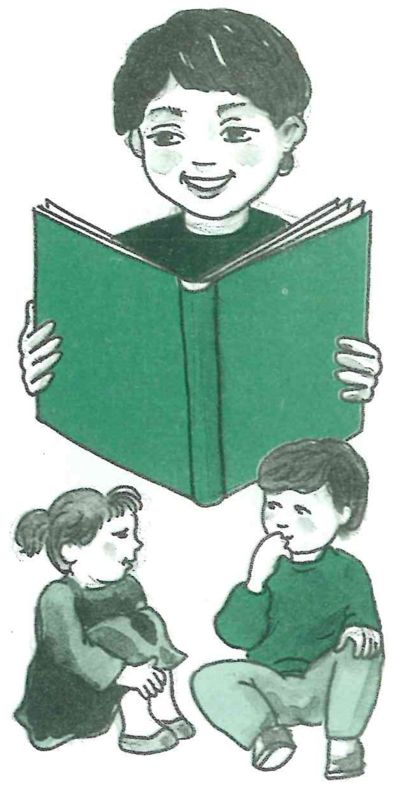




١٤ ـ الحكايةُ الشعبيةُ هي، بصورةٍ أساسيةٍ، ثمرةُ شعورٍ ومضمونٍ لا شعوري، يشكِّلُه العقلُ الواعي الجماعي، وليس الفردي، فيما يتعلقُ بما تعتبرُهُ الجماعةُ مشاكلَ إنسانيةٍ عالميةٍ، وما تراهُ من حلولٍ مقبولةٍ لتلك المشاكل. ولو لم تكنْ كلُّ تلك العناصرِ حاضرةً في الحكايةِ الشَّعْبية، لما رُدِّدَتْ من جيلٍ إلى جيل، ولما رُوِيَتْ مِراراً وتَكْراراً واسْتُمِعَ اليها بٱنْتباهٍ كبيرٍ، لو لم تكنْ تجيبُ عن الضروراتِ الشعوريةِ، واللاشعوريةِ لأكْبَرِ عددٍ من الناس. وعناصِرُها الأكثرُ ثباتاً هي: الخيالُ، والشِّفاءُ، والخَلاص والتَّشْجيع.

١٥ ـ الحكايةُ الشعبيةُ تُمِدُّ المُخَيِّلَةَ بموادَّ تَقْتَرِحُ على الطفلِ، وبشكلٍ رَمْزيّ، نَوْعَ المعاركِ التي عليه أنْ يخوضَها ليُحقِّقَ ذاتَهُ، وفي الوقْتِ نَفْسِهِ، تَكْفُلُ له حَلًّا سعيداً. والأَزَماتُ النَّفْسيةُ للنُّمُوِّ تحملها المخيلةُ، فتقدِّمُها الحكاياتُ الشعبيةُ رَمْزيًّا على شَكْلِ لقَاءاتٍ مَعَ الجنِّ، أو الساحراتِ، أو الغيلانِ، أو الحيواناتِ المتوحِّشَةِ، أو الأشخاصِ ذوي

الذَّكاءِ الخارق. ولكنَّ إنسانيةَ البطلِ الأَساسيةَ، على الرَّغمِ من مغامراتِه الخارقة، تؤكِّدُها الفكرةُ الحاضرةُ دائماً، في أنَّهُ سيموتُ ذاتَ يومٍ، مِثْلَ أيٍّ شخصٍ مِنّا؛ فَبَطَلُ الحكايةِ الشعبيةِ، يعيشُ كثيراً من الأَحداثِ الخارقةِ، وغَيْرِ الاعتياديةِ، إلاّ أنَّهُ لا يصلُ، أبداً، إلى أنْ يُصْبحَ رجلاً خارقاً، بعكسِ البطلِ الأسطوريّ. هذه الانسانيةُ الأصيلةُ، تُفْهِمُ الطفلَ أنَّهُ مهما كانَ موضوعُ الحكايةِ الشعبيةِ، فهي ليست سِوى نقلٍ خياليٍّ مُضَخَّمٍ للمهامِّ التي يَتَحَتَّمُ عليه القيامُ بها، لآمالِه وإدراكاتِه. وبينما نجدُ الأساطيرَ تُصَوِّرُ شخصياتٍ مثاليةً تتصرَّفُ بِحَسَبِ الأَنا الأعلى ومتطلباتِه، نجدُ الحكاياتِ الشعبيةَ تصوِّرُ تكاملاً للأَنا يسمحُ بإشباعٍ مناسبٍ لِرَغَباتِ الهُوَ، وهذا الفارقُ بين الأسطورةِ، والحكايةِ الشعبيةِ الخياليةِ، يشيرُ إلى التناقضِ بين التشاؤمِ في الأسطورةِ، والتفاؤلِ الأساسي في الحكايةِ الشعبية.









١٦ ـ حكاياتُ الحيواناتِ تعبِّرُ دائماً عن حقيقةٍ أخلاقيةٍ، هي أنَّها لا تحتوي أيَّ معنىً مخبَّأ، ولا تتركُ أيَّ شيءٍ للمُخَيِّلة. أما الحكايةُ الشعبيةُ، فإنها تتركُ لنا، بكلِّ عنايةٍ، مسألةَ اتخاذِ القرارِ المُناسِبِ، ولا تحثُّنا على اتِّخاذِه، فنحنُ مَنْ يَجِبُ أنْ يقرِّر. وهي، بهذا المعنى، تَتْبَعُ منهجيةً تتلاءمُ، تماماً، مَعَ إدراكِ الطفلِ، وَنَمَطِ اختباره للعالم. ولهذا السببِ، فإنها تبدو له مُقنِعَةً جداً، فهو يستطيعُ أن يستمدَ الكثيرَ من التشجيعِ منها، الأمرُ الذي لا يستمدُّه من كلِّ الأفكارِ التي يحاولُ البالغون طمْأَنَتَه بوساطَتِها. إن الطفلَ يَثِقُ بما ترويهِ له الحكايةُ الشعبيةُ، لأنَّ لديها نَفْسَ طريقتهِ في فَهْمِ العالم.





١٧ ـ مُنْذُ السنةِ الثالثةِ من العمر، يبدأُ الطفلُ يواجهُ المسألةَ الصعبةَ لهُوِيَّتِهِ الشخصيةِ، فيتساءل: مَنْ أنا؟ ما هو هدفُ الحياةِ؟ هل توجدُ قوى وصيَّةٌ عليه عدا أَهْلِهِ؟ كيفَ يجبُ أن يُثقَّفَ ولماذا؟ هل لديه أملٌ



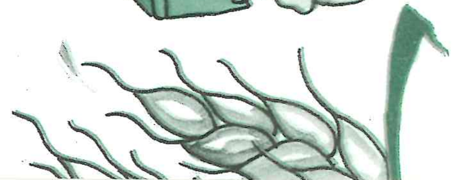
على الرغم مما قد يفعلُ من سوء؟ ما هو مستقبَلُهُ؟... والحكاياتُ الشعبيةُ تقدِّمُ، بطرائِقها الرمزيةِ، أجوبةً عن هذه التساؤلاتِ وغيرها، ويعي الطفلُ منها بِقَدْرِ ما بَلَغهُ نُمُوُّه من تطور. والحكايةُ الشعبيةُ، مثلُ كلِّ الأعمالِ الفنيةِ، تُغْري، وتُشَجِّعُ، وتثقِّفُ، في آن واحد، من خلالِ الدورِ المُزْدَوَجِ لتعابيرِها التي تتوجَّهُ للطفلِ مباشرةً، في وقت يكونُ عليه فيه أن يجابهَ أكثرَ مَسائِلِهِ أهميةً، ألا وهي وَضْعُ النظامِ في الفوضى الداخليةِ لوَعْيِه، لكي يَسْتطيعَ أن يفهمَ ذاتَهُ بشكلٍ أفْضَلَ، وهي العمليةُ الأوَّليةُ التي تسمحُ له أن يوفِّقَ بيْنَ تصوراتِهِ المختلفةِ عن العالَمِ الخارجيّ.



١٨ ـ همُّ الفشلِ عنْدَ الطفلِ، يتمحورُ حَوْلَ فكرة أَنَّهُ إذا لم ينجحْ سَيُطْرَدُ، أو يُهْجَرُ، أو يُدَمَّرُ كلياً. والطفلُ لا يعطي أيَّ معنىً للنجاحِ النهائيّ إذا لم يَتَخَلَّصْ، في الوقتِ نفْسِه، من همومه اللاشعوريةِ، وذلك ما ترْمِزُ إليه الحكايةُ الشعبيةُ عندما تحكُمُ على الشّرير بالموت. وكلّما كانَ العقابُ المفروضُ على







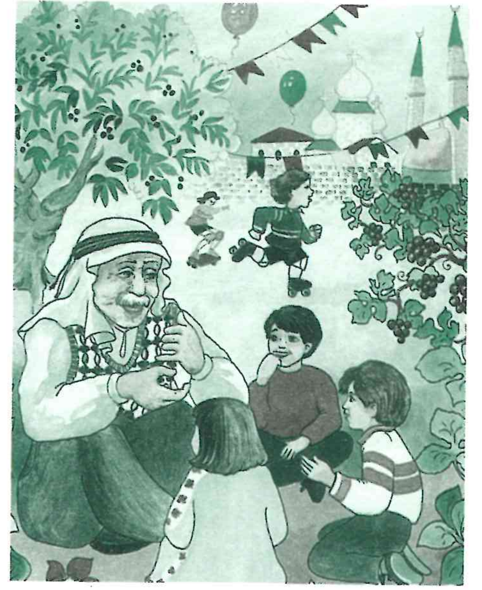


الأشرارِ أقسى، كان شعورُ الطفل بالطمأنينةِ أكبرَ، وذلك من مُنْطَلقِ أنَّ العقابَ يتناسبُ مع الجريمة. والنجاحاتُ في العالمِ الخارجيِّ، لا تكفي لتهدِئةِ همومِ الطفلِ الباطنية، وما قد يبدو تافهاً في نظر البالغ، يأخذُ أبعاداً أكْبَرَ أهميةً لدى الطفلِ الذي لا يستطيعُ أيضاً، أن يفعلَ شيئاً كبيراً في الحال لكي يُغَيِّرَ مَصيرَهُ.

١٩ ــ الراوي الجيِّدُ، لابدَّ أن يَخْضعَ فَهْمَه لمغزى الحكاية الى مدى تأثر الطفلِ وإدراكه. والحكايةُ الشعبيةُ المتوارثةُ، شَكَّلَها رواةٌ متتابعونَ عَبْرَ الأجيال، آخذينَ في اعتبارهم الأسئلةَ التي كان الأطفالُ يَطْرحونَها، انْطِلاقاً من لَذَّتِهم، أو خَوفِهم الذي يُعبِّرونَ عنه شَفوياً، أو عملياً بالالتصاقِ بمن حولهم. إنَّ روايةَ الحكايةِ حرفياً تحرمها من الجزء الأكبر من قيمتها؛ فإذا أردْنا أن نكونَ فعَّالين، عندما نروي الحكايةَ للطفلِ، فإنه يجبُ علينا أن نَجْعَلَها حَدَثاً موضوعياً يُسْهِمُ فيه البالغُ والطفلُ بشكلٍ متساوٍ، وذلك ما لا يحدثُ عندما تُقْرأُ الحكايةُ للطفلِ قراءةً

فقط. وفي الحقيقةِ، إن روايةَ حكايةٍ شعبيةٍ، هي تعبيرٌ عن كلِّ الصُّورِ التي تحتويها؛ فهي عمليةُ زرعِ بذورِ السيرورةِ في اللاَّشعورِ، وبذورٍ أخْرى سيكونُ عليها أنْ تبقى طويلاً راقدةً الى أن يَصلَ عقلُ الطفلِ الى مرحلةٍ مناسبةٍ لنباتها، في حين يبقى بعضُها هناك في اللاَّشعور، ولا يَنْمو أبداً. والبذورُ، التي تسقطُ في أرض طيبة، تُنتِجُ أزهاراً جميلةً، وأشجاراً قويةً؛ أيْ إنَّها سَتُعطي الطِّفلَ شيئاً من القوةِ لمشاعرِه المهمة، وتَفْتَحُ أمامَهُ منظوراً جديداً، وتغذي لديه آمالاً تخَفِّفُ ما هو مكبوتٌ لديه، وبذلك تُغْني حياتَه بصورةٍ آنيةٍ، وأُخْرى دائمةٍ. إنَّ أدبَ الحكايةِ الشعبيةِ جديرٌ، الى درجةٍ كبيرةٍ، بالدخول مباشَرةً الى اللاشعور، فالحكايةُ تُغْني تجربةَ الطفلِ بأنْ تدُلَّه بدقةٍ على الوسيلةِ الكفيلةِ بمساعدتِه على الاستفادة بشكلٍ بنائيٍّ تثقيفيٍّ من التجاربِ الباطنيةِ، كما أنها تَحمِلُ له فَهماً حَدْسيًّا شِبْهَ واعٍ لطبيعتِه الشخصية، ولما يُمكنُ أنْ يَجلُبَ له المستقبل













من نجاحٍ إنْ طوَّر إمكاناتِه الايجابية.

٢٠ ـ الراوي يجبُ ألَّا يفسِّرَ للطفل معانِيَ الحكايةِ الشعبيةِ، بل عليه أن يَعْرِفَ ما تمثلهُ رسالةُ الحكايةِ الى قَبْشُعورِ (قبل شعور) الطفل، حتى يَسْتطيعَ قَبْشُعورِه أن يستمدَّ من الحكايةِ، بسهولةٍ ويُسْرٍ، إشاراتٍ، أو دلالاتٍ تتيحُ للطفلِ أَن يَفهمَ ذاتَه بشكلٍ أفْضلَ. وعلى هذا الأساسِ، فإنَّه من الأفضلِ للبالغِ، أَنْ يختارَ الحكاياتِ الأَكْثرِ مُلائَمَةً لمرحلةِ نموِّ الطفلِ، ولصعوباته النفسية الآنية. ولكي يستطيعَ الطفلُ أن يعيشَ تجربةً موحِيَةً وغنيةً، فإن من الضروري له أن يشعُرَ بمشاركةٍ حيوية، وان يتقاسمَ التجربةَ مع غيره، وعلى البالغ، الذي يروي الحكاية، أَنْ يُدْخِل ذلك في اَعْتبارِه.

المؤلف

١٩٩٧

٢ ـ مُقَدِّمَةٌ لِلصِّغارِ

أَحِبَّتي الصِّغارَ، أولاداً وبناتٍ، أهلاً بِكُمْ جَميعاً، في لقاءٍ تُراثِيٍّ جَديدٍ، يَجْمَعُنا هَذِهِ المَرَّةَ، أمامَ مَوْقِدِ بَيْتِ العائِلَةِ، البيتِ الفِلَسْطينيِّ الكَبيرِ. آهِ ما أَحْلى بَيْتَنا، وسَقى اللَّهُ أيّامَ الصِّبا، عِنْدَما كانَ صِغارُنا يَلْتَقونَ أيّامَ الشِّتاءِ، وفي الأُمْسياتِ، أمامَ الْمَوْقِدِ، وَيلْتَفّونَ حَوْلَ الْجَدَّةِ، وَيَتزاحَمونَ أَيُّهُمْ يَسْبِقُ إلى الْجُلوسِ في حِضْنِها، ثُمَّ يُلِحّونَ عَلَيْها أَنْ تَحْكِيَ لَهُمْ كُلَّ الحِكاياتِ، وَتَتَمَنَّعُ هِيَ في الْبِدايةِ، لِكَيْ تَسْتَثيرَهُمْ، فَتَحْتَجُّ بِأَنَّها قَدْ حَكَتْ لهُمْ كُلَّ ما لَدَيها مِنْ حكاياتٍ، وَلَمْ يَبْقَ عِنْدَها حِكاياتٌ جَديدَةٌ. وَيَتصايحونَ قائلين: إِنَّهُم نَسُوا ما حكَتْهُ لَهُمْ، عَنِ الغُولِ والعِفْريتِ والسّاحِرَةِ الشِّريرةِ، والضَّبُعِ، وغَيْرِها. وتَستَجيبُ الجَدةُ فَتبْدَأُ كُلَّ واحِدَةٍ من حكاياتِها بأنْ تقولَ في أوَلِ الحكايةِ:

كانَ هانا خَيرْ.

الصغار: خيرْ إنْ شاءَ اللّه،









الجدة: كانْ يَا مَا كانْ، يا سامْعينِ الحَكي والكلامْ، نْخَرِّفْ وِالاَّ ننامْ؟

الصغار: نْخَرِّفْ،

الجدة: مَا بِطيبِ الحَديثْ إلاّ بالصَّلاةِ عَلى النَّبي،

الصغار: اللَّهُمَّ صَلِّي عَلَى سَيِّدنا مُحَمَّدْ.

اللَّهُمَّ صَلِّي عَلَى سَيِّدنا عيسى.



وَفي نهايَةِ الحِكايَةِ، تَخْتَتِمُ الْجَدَّةُ حديثَها قائِلَةً:

رُحْتْ وخَلِّيتْهُمْ ما عُدْتْ أَرِيتْهُمْ

أَوْ تُوتي تُوتي خِلْصَتْ الْحَدّوتي، حِلْوِهْ وِالاّ مَلْتُوتي؟

أَوْ هَذِي خُرِّيفْةِ الطِّيْر عَجاجْ،

أَوْ طَارِ الطِّيـر تِتْمَسّوا بِالْخِيـرْ، أَوْ تِصْطِبْحوا بالْخيرْ.



أَوْ هذِي حْكايْتي وَعِلِيكُمْ بْدالْها.

وَتَسْتَمِرُّ الْجَدَّةُ في روايَةِ حِكاياتِها، بِمُشارَكَةِ أَحْفـادِهَا، إِلـى أَنْ يَغْلِبَ عَلَيْهِمُ الـنُّعـاسُ، فَتَتَثاءَبُ هِيَ، وَيَتَثاءَبُ بَعْضُهُمْ مَعَها، فَتَخْتِمُ آخِرَ حِكايَةٍ وَتَقولُ لَهُمْ وَهِيَ تُقَبِّلُهُمْ:

«تُصْبِحُونْ عَلى خِيرْ»، فَيَقولونَ لَها، وَهُمْ يَتَتابَعُونَ عَلَى تَقْبيلِها : «تْلاقِينَ خِيرْ، يا أَحْسَنَ الْجَدّاتْ».

هَكَذا كانَتْ أَحْوالُنا، لَكِنَّ الأَيّامَ تَتَغَيَّرُ، وَتَتَغَيَّرُ مَعَها الأَحْوالُ، فَقَدْ صارَ التِّلْفازُ وَالْفيدْيُو، في هَذِهِ الأَيّامِ، يُسَيْطِرانِ عَلَى الأُسْرَةِ، وَيَتَحَكَّمانِ في مُعْظَمِ وَقْتِها، لا بَأْسَ عَلَيْنا في أَنْ نَسْتَمْتِعَ بِمَا يُقَدِّمانِهِ لَنَا، لَكِنْ يَجِبُ عَلَيْنا أَنْ نُحْيِيَ تُراثَنا الشَّعْبِيَّ الرّائِعَ، كما يَجِبُ عَلى مَحَطّاتِ التِّلْفازِ الْعَرَبِيَّةِ، وَلاَ سِيَّمَا الْفِلَسْطِينِيَّةَ مِنْها، أَنْ تَعْتَنِيَ بِتُراثِنا الشَّعْبِيِّ الْفِلَسْطِينِيِّ عِنايَةً فائِقَةً؛ لأَنَّ فِيهِ أَصالَةَ أَسْلافِنا، وَفيهِ تَطَلُّعاتِ شَعْبِنا، وَقِيَمَ أُمَّتِنا وَطُمُوحاتِها.

وَإِسْهاماً مِنّا في تَحْقيقِ هذا الْهَدَفِ النَّبيلِ الْجَليلِ، نُقَدِّمُ لَكُمْ، أَيُّها الأَحِبَّةُ، في هذا الكِتابِ، تَحْتَ عُنْوانِ «كانْ يا ما كانْ» مَجْمُوعَةً مُخْتارَةً مِنْ بَيْنِ عَدَدٍ كَبيرٍ مِنْ حِكاياتِنا الشَّعْبِيَّةِ، تارِكينَ لَكُمْ الْحُرِّيَّةَ الكامِلَةَ في الاِسْتِمْتاعِ بِها، وَالاِسْتِفادَةِ مِنْها،






وَمُقْتَرِحِينَ عَلَيْكُمْ، في الوَقْتِ ذاتِهِ، ألاّ تَكْتَفُوا بِمُطالَعَتِها، بَلْ أَنْ تُطالِبُوا أَحَدَ الكِبارِ، مِنْ حَوْلِكُمْ، أَنْ يَحْكِيَها لَكُمْ، كما كانَتْ تُحْكَى أَيّامَ زَمانٍ. وَبالطَّبْعِ، أَنْتُم تَعْلَمُونَ أَنَّ هَذِهِ الْحِكاياتِ، تَخْتَلِفُ قَلِيلاً مِنْ مِنْطَقَةٍ إِلى أُخْرى، لَكِنَّ جَوْهَرَها واحِدٌ في كُلِّ الأَحْوالِ.

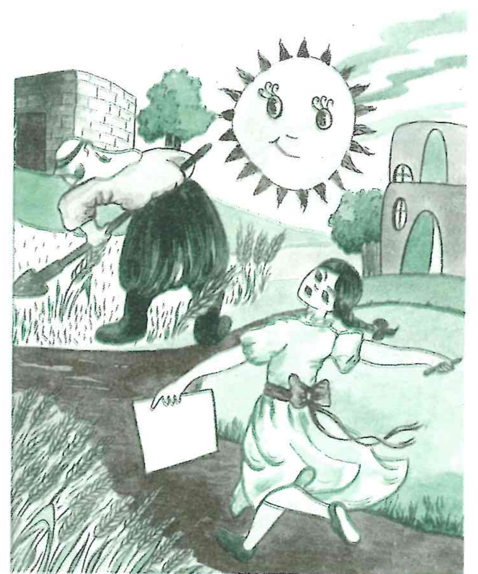
المُؤَلِّفُ ـ ١٩٩٧

١ ـ حِكايَةُ رَمَضانَ



في يَوْمٍ مِنَ الأَيّامِ، كانَ هُناكَ رَجُلٌ تَزَوَّجَ ٱمْرَأَةً «هَبْلَة»، قَلِيلَةَ الذَّكاءِ. وَصارَ زَوْجُها يَشْتَري حاجاتِ ٱلْبَيْتِ، وَكُلَّما جاءَ بِحاجَةٍ، كانَ يَقُولُ لَها: «هٰذا ٱلْعَسَلُ لِرَمَضانَ، هٰذا السَّمِيدُ لِرَمَضانَ، هٰذا الرُّزُّ لِرَمَضانَ، خَزِّني هٰذِهِ ٱلْأَشْياءَ لِرَمَضانَ». وَبَعْدَ مُدَّةٍ مِنَ الزَّمَنِ، جاءَ فَقِيرٌ وَدَقَّ عَلى بابِ ٱلْبَيْتِ، فَقالَتِ الْمَرْأَةُ: «مَنْ أَنْتَ؟» قالَ: «أَنا رَمَضانُ، هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ لي؟» فَقالَتِ الْمَرْأَةُ: «طَبْعاً، لَكَ عِنْدي أَشْياءُ كَثِيرَةٌ، زَوْجي، مِنْ مُدَّةٍ، يُوصِيني عَلَيْكَ». وَراحَتْ وَأَعْطَتْهُ ٱلْعَسَلَ، وَالزَّبِيبَ، والسَّمْنَ، وَالسَّمِيدَ، وَكُلَّ الأَشْياءِ الَّتي قَدَرَ أَنْ يَحْمِلَها. وَبَعْدَ ذٰلِكَ بِشَهْرٍ، جاءَ شَهْرُ رَمَضانَ، شَهْرُ الصَّوْمِ عِنْدَ الْمُسْلِمينَ، فَقالَ لَها زَوْجُها: «هاتي شَيْئاً مِنَ الأَشْياءِ الزّاكِيَةِ!» فَقالَتْ: «لَيْسَ عِنْدَنا شَيْءٌ مِنْها». وَتَفاجَأَ زَوْجُها فَقالَ: «لِماذا، أَيْنَ ذَهَبَتِ الْأَشْياءُ الَّتي اشْتَرَيْتُها؟» فَقالَتْ: «جاءَ صاحِبُها رَمَضانُ







الَّذي أَوْصَيْتَني بِهِ، وَأَنْتَ أَوْصَيْتَ، وَأَنا أَعْطَيْتُ». قالَ زَوْجُها: «روحي أَنْتِ طالِقٌ بالتَّلاثَةِ»، فَبَكَتْ وَصاحَتْ وَقالَتْ: «الْحَقُّ عَلَيك، إِنْتِ اللّي وَصَّيْتْني عَلَيهْ!» لَكِنَّ بُكاءَها لَمْ يَنْفَعْها، وَراحَتْ عَلِيها.







٢ ـ حِكايَةُ قَدّ جِلْدِ الثّوْرْ قَدّ



قَبْلَ أَرْبَعَةِ آلافِ سَنَةٍ، جاءَ سَيِّدُنا إِبراهِيمُ الْخليل، عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، إلى مَدِينَةِ الْخَليل، وَراحَ لِشَيْخِ الْمَدينَةِ اليَبُوسِيِّ العَرَبِيّ، وَقالَ لَهُ: «يا شَيْخُ، أعطِني قِطْعَةَ أرْضٍ صَغيرَةٍ أَقْبُرُ فيها زوجَتي، قِطعَةً صَغيرَةً «قَدّ جِلْدِ الثّوْر قَدّ». وافَقَ الشّيْخُ، وَصارَ الاتِّفاقُ عَلى مَوعِدٍ لِاخْتـيـارِ الْمَوْقِعِ، وقيـاسِ الْأَرضِ. وَقَبْلَ الْمَوْعِدِ، أَخَذَ سَيِّدُنا ابراهيمُ الخَليلُ جِلْدَ ثَوْرٍ، وَقَدَّهُ قَداً رَفيعاً مِثْلَ خُيوطِ الغِرْبال، وَأَخَذَهُ مَعَهُ في الوقتِ الْمُتَفَقِ عَلَيْهِ، وَقاسَ بِهِ دائِرَةً حَوْلَ الأرضِ الَّتي أرادَها، فَأَخَذَ مِساحَةً كَبيرَةٍ، أَكْبَرَ بكثيرٍ مِنْ جِلْدِ الثَّوْر. عِنْدَ ذلكَ، غَضِبَ شَيْخُ الخَليْلِ، وَقالَ: «هَذا لا يَجوزُ، لَيسَ هَذا ما اتَّفقنا عَلَيْهِ، نَحْنُ اتَّفقنا عَلَى قِطْعَةِ أرْضٍ صَغيْرَةٍ بِقَدْرِ جِلْدِ الثَّوْر». لَكِنَّ سَيِّدنا إبْراهيمَ قالَ: «لَا، لَا، اتِّفاقُنا يا شَيْخُ كانَ «قَدّ جِلْدِ الثُّور، وَأنا قَدَّدْتُهُ». وَوافَقَ رِجالُ حاشِيَةِ الشَّيخِ عَلَى ما قالَهُ سَيِّدُنا إبْراهيمُ، وَقالوا: «يا شَيخُ، هذا هُوَ الشَّرْطُ









الّذي تمَّ الاتِّفاقُ عَلَيهِ». عِنْدَ ذلِكَ، صارَ شَيْخُ الْخليلِ يَغْلي غلَياناً مِنَ الغضَبِ، وَقالَ: «هَذِهِ خِدْعَةٌ، راحَتِ الأَرْضُ». ثُمَّ قالَ لِلَّذينَ اسْتَشارَهُمْ مِنْ حاشِيَتِهِ: «سَوْفَ أَقطَعُ رُؤوسَكُمْ!» وَفي الْحالِ، أَمَرَ بِهِمْ فأُخِذُوا إلى تَلَّةٍ قَريبَةٍ مِنَ المدينَةِ، مَعْرُوفَةٍ حَتَّى الْيَومِ، وَقطَعَ رُؤوسَهُمْ. لكِنْ عَجيبَةٌ، وَلا عَلى اللّهِ عَجَبٌ، صارَتِ الرّؤوسُ تَدْحَلُ وَتَقولُ: «طَقْ طَقْ طَقْ، قَدْ جِلْدِ الثَّوْرِ قَدْ.». وَهَكَذا أَخَذَ سَيِّدُنا إبراهيمُ تِلْكَ الْبُقْعَةَ مِنْ أرضِ مَدينَةِ الْخَليلِ، وَسُمِّيَتِ الْمَدينَةُ باسمِهِ.

«وَهذي خُرّيفة الطِّيْر عَجاجْ»

٣ ـ حِكايَةُ النَّبي سُلَيْمانَ وَالْجَرادَةِ



جَلَسَ النَّبي سُلَيْمان، عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، عَلَى عَرْشِهِ، وَصارَتِ الحَيَواناتُ تَدْخُلُ لِتزورَهُ وَتُسَلِّمَ عَلَيْهِ. دَخَلَ الذِّئبُ فَلَمْ يَتَحَرَّكِ ٱلمَلِكُ سُلَيْمانُ مِنَ الكُرسِيِّ، بَلْ سَلَّمَ على الذِئبِ وَهُوَ جالِسٌ في مكانِهِ دونَ أيَّةِ حَرَكَةٍ.

وَدَخَلَ الضَّبُعُ وَسَلَّمَ، فقالَ لَهُ المِلكُ، دونَ أنْ يَتَحَرَّكَ: «وَعَلَيكَ السَّلامُ، تَفَضَّلْ». وَدَخَلَ الأسَدُ فَضَرَبَ سَلاماً لِلمَلِكِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ المَلِكُ السَّلامَ دونَ أنْ يَتَحَرَّكَ مِنْ مَوْضِعِهِ.



وَبَعْدَ قَليلٍ، جاءَتِ الجرادةُ وَسَلَّمتْ، فقامَ الملكُ سُلَيمانُ عَنْ عَرْشِهِ، واستقبلها وقالَ لَها: «أهْلاً وَسَهْلاً بِكِ، تَفَضَّلي». وَغَضِبَتْ سَلاطينُ الحَيَواناتِ الثَّلاثَة، وَٱحْتَجُّوا عَلى المَلِكِ قائلين:

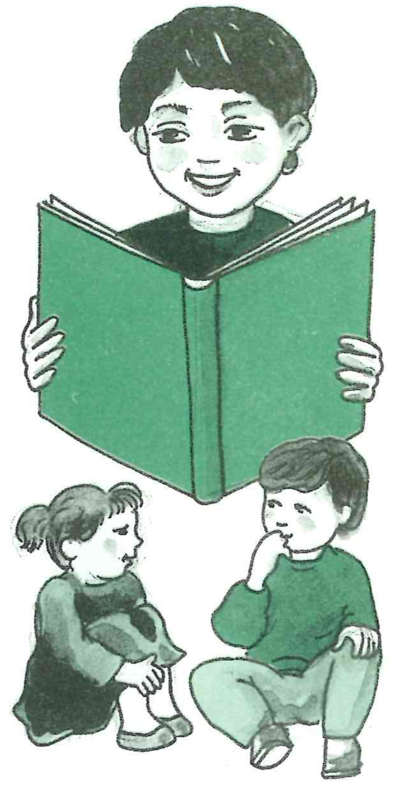


«إحْنا الثَّلاثة جئنا لِزيارتِكَ، فما تَحَرَّكْتَ عَنْ كُرْسِيِّكَ تَكْريماً لَنا، وَنَحْنُ سَلاطينُ الحَيَواناتِ، لكِنَّكَ قُمْتَ إكْراماً لِهذِهِ الجَرادَةِ الصغيرَةِ! لماذا تحتَقِرُنا وَتُكَرِّمُها؟» فَقالَ



المَلِكُ سُلَيمانُ لَهُمْ: «هل تريدونَ أن تُحاربوا هَذه الصَّغيرَةَ وتُقاتلوها؟» قالوا: «نَعَمْ». وَتَمَّ الاتِّفاقُ عَلى مَوْعِدٍ لِلْمَعْرَكَةِ. أَمَّا شَيْخُ الجرادِ فَإنَّهُ قالَ لِشَعْبه: «استَعِدُّوا لِلْمَعْرَكَةِ، وَعِنْدَما يَصِلُ الثَّلاثَةُ وَأتْباعَهُم، مِنَ الذِّئابِ، والضِّباعِ، والأُسودِ، ادخلوا في آذانِهِمْ وَزَمِّروا باستِمرار».

وبالفِعْل حَدَثَ ما قالَهُ شَيْخُ الجرادِ، فَعِنْدما جاءت الوحوشُ في الوقت المَوْعُود، اندَفَعَ جُنُودُ الجَرادِ في آذانِهِمْ، وَبَدءُوا يُزَمِّرون باستِمرارٍ، وَظَلُّوا يَفْعَلونَ ذلكَ والوُحوشُ تَنْفُضُ رؤوسَها مِنَ الصُّبْحِ حَتى المَغْرِب الى أن داخَتْ واسْتَسلَمَتْ. عِنْدَ ذلكَ، أَمَرَ المَلِكُ سُلَيْمانُ بِوَقفِ المَعْرَكة، وقالَ لِسَلاطينِ الحيواناتِ الثَّلاثَةِ: «هَلْ فَهِمْتُمْ لماذا كَرَّمْتُ شَيْخَ الجرادِ الصَّغيرَ، وَعَمِلتُ لَهُ قيمةً؟» قالُوا «نَعَمْ». فَقالَ المَلِكُ حِكمَتَهُ المشهورةَ: «دير بالَكْ مِنْ الأشْياءِ الصَّغيرَةِ، فَهِيَ أهَمُّ وَأقْوى خَطراً مِنَ الأشْياءِ الكَبيرَةِ».









٤ ـ حِكايَةُ ٱلخُنْفُسَة

لَمَّا كَبِرَتِ الخُنْفُسَةُ قالَتْ لأُمِّها: «أُريدُ أنْ أتَزَوَّجَ لي زَوْجاً». فقالَتْ لَها أُمُّها: «رُوحي إلى الطَّريقِ واجلسي في وَسَطِها لِيَراكِ الشَّبابُ، واختاري لَكِ زوجاً مِنْ بَيْنِهِمْ».



وَخَرَجَتْ الخُنْفُسَة وَجَلَسَت في وسط الطَريق، فَمرَّ بها راعي غَنَمٍ، وقال لها: «يا خُنْفُسَةُ، قومي من وَسَط الطريق، لِئلَّا تَدُوسَكِ ٱلأغنام». فرَدَّتْ عليه قائِلَةً: «أَنْتَ الخُنْفُسُ وَالخُنْفُسَةُ أُمُّكَ، والعَبْدَةُ بِنْتُ عَمِّكَ، لكِنْ أنا بِنْتُ الرِّدَيْني، وَٱلكُحلُ مِلءُ عيني، وأنا جالِسةٌ هُنا في وَسَط الطَّريق لأجِدَ لي عريساً أتزوَّجُهُ». فقالَ الراعي: «هَلْ تَتَزوجينني؟ فقالَت: «حُطِّ الذَّهَبْ في كُمِّي، حَتَّى أروحَ أُشاوِرْ أُمِّي». وَافَقَ الرَّاعي، وَوَضَعَ الذَّهَبَ في كُمِّها، وعادَتْ هِيَ فقالَتْ لأُمِّها: «تَقَدَّمَ لي عَريسٌ، رَأْسُهُ كبيرٌ كبيرٌ وَيداهُ كبيرَتانِ كبيرَتانِ، وَرِجلاهُ كبيرتان كبيرتان،



فَقالَتِ ٱلْأُمُّ: «اتْرُكيه، فَهُوَ لاَ يَنْفَعُكِ».

وَفي ٱلْيَوْمِ التَّالي، عَادَتِ الخُنْفُسَةُ إلى وَسَطِ الطَّرِيقِ، وَمَرَّ بِها رَاعي بَقَرٍ، وَقَالَ لَها: «يا

خُنْفُسَةُ، ابعِدي عَنْ وَسَطِ الطَّريقِ لِئَلّا تَدُوسَ عَلَيْكِ ٱلْبَقَرُ». وَقالَتْ لَهُ: «أَنْتَ ٱلْخُنْفُسُ، وَٱلْخُنْفُسَةُ أُمُّكَ، وَٱلْعَبْدَةُ بِنْتُ عَمِّكَ، لَكِنْ أنا بِنْتُ الـرُّدَيْنـي، وَٱلْكُحْلُ مِلْءُ عَيْنـي، وَأَنا جالِسَةٌ هُنا في وَسَطِ الطَّريقِ لِأَجِدَ لي عَريساً أَتَزَوَّجُهُ». فَقالَ لَهَا: «هَلْ تَتَزَوَّجينـنـي؟» فقالت له: «حُطِّ الذَّهَبْ في كُمّي، حَتّى أَرُوحَ أُشاوِرَ أُمّي». وَراحَتْ فَقالَتْ لِأُمِّها: «جاءَني عَريسٌ لَهُ رَأْسٌ كَبيرٌ كَبيرٌ، وَعَيْنانِ كَبيرَتانِ كَبيرَتانِ، وَيَدانِ كَبيرَتانِ كَبيرَتانِ، وَرِجْلانِ كَبيـرَتـانِ كَبيـرَتـانِ». قالَتْ لَهَا أُمُّهـا: «لا تَتَزَوَّجيهِ».

وَفـي الْيَوْمِ الـثّالِثِ، راحَتِ الْخُنْفُسَةُ، كَالْعادَةِ، وَقَعَدَتْ في وَسَطِ الطَّريقِ. وَمَرَّ بِها جَمّالٌ وَقالَ لها: «يا خُنْفُسَةُ، انْزاحي عَنْ وَسَطِ الطَّريقِ؛ لِئَلّا تَدوسَ عَلَيْكِ الْجِمالُ». فَقالَتْ لَهُ: «أَنْتَ ٱلْخُنْفُسُ، وَٱلْخُنْفُسَةُ أُمُّكَ، وَٱلْعَبْدَةُ بِنْتُ عَمِّكَ، لَكِنْ أَنا بِنْتُ الرُّدَيْني، وَٱلْكُحْلُ مِلْءُ عَيْني، وَأَنا قاعِدَةٌ في وَسَطِ الطَّريقِ لأَجِدَ لي عَريساً أَتَزَوَّجُهُ». قالَ لَها

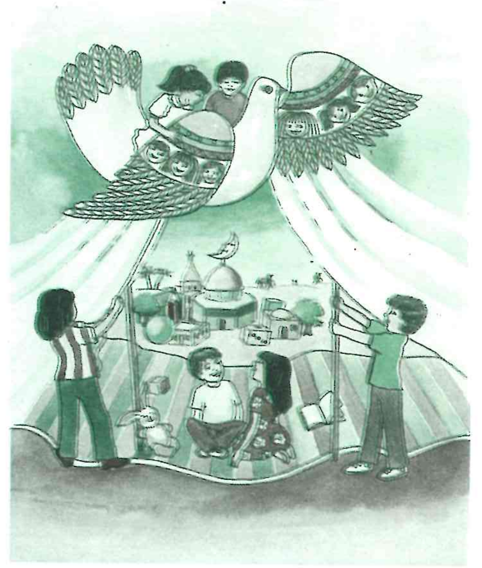


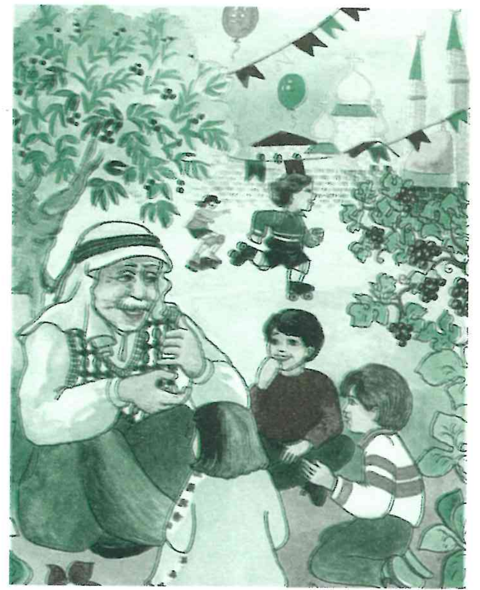














الْجَمَّالُ: «هَلْ تَتَزَوَّجِينَني؟» فَقَالَتْ: «حُطِّ الذَّهَبَ في كُمِّي، حَتَّى أَرُوحَ أُشَاوِرَ أُمِّي». وَرَاحَتْ وَقَالَتْ لأُمِّها: «جَاءَني عَرِيسٌ لَهُ رَأْسٌ كَبِيرٌ كَبِيرٌ، وَعَيْنانِ كَبِيرَتانِ كَبِيرَتانِ، وَيَدانِ كَبِيرَتانِ كَبِيرَتانِ، وَرِجْلانِ كَبِيرَتانِ كَبِيرَتانِ، فَقَالَتْ لَهَا أُمُّها: «اتْرُكِيهِ». وَفي الْيَوْمِ الرَّابِعِ، رَاحَتِ الْخُنْفُسَةُ وَقَعَدَتْ في طَريقِ الْفَأْرِ. فَلَمَّا مَرَّ الْفَأْرُ وَرَآهَا، قَالَ لَهَا: «يَا خُنْفُسَةُ، ابْعِدي عَنْ طَريقي لِئَلَّا أَدُوسَ عَلَيْكِ». فَقَالَتْ: «أَنْتَ الْخُنْفُسُ، وَالْخُنْفُسَةُ أُمُّكَ، وَالْعَبْدَةُ بِنْتُ عَمِّكَ، لَكِنْ أَنا بِنْتُ الرُّدَيْني، وَالْكُحْلُ مِلْءُ عَيْني، وَأَنا قَاعِدَةٌ في وَسَطِ الطَّريقِ حَتَّى أَجِدَ لي زَوْجاً». فَقَالَ لَهَا الْفَأْرُ: «هَل تتزوجينني؟» قَالَتْ: «حُطِّ الذَّهَبَ في كُمِّي، حَتَّى أَرُوحَ أُشَاوِرَ أُمِّي». وَرَاحَتْ وَقَالَتْ لأُمِّها: «جَاءَني عَرِيسٌ، لَهُ رَأْسٌ صَغِيرٌ صَغِيرٌ، وَعَيْنانِ صَغِيرَتانِ صَغِيرَتانِ، وَيَدانِ صَغِيرَتانِ صَغِيرَتانِ، وَرِجْلانِ صَغِيرَتانِ صَغِيرَتانِ». قَالَتْ لَهَا أُمُّها: «هَذَا هُوَ الزَّوْجُ الْمُنَاسِبُ لَكِ، رُوحي







تَزَوَّجِيهِ». وَراحَتِ ٱلْخُنْفُسَةُ وَتَزَوَّجَتِ الْفأر.

وَبَعْدَ أَيّامٍ، قالَتِ ٱلْخُنْفُسَةُ لِزَوْجِها الْفأر: «سَأَذْهَبُ إِلى ٱلْبِئْرِ لأنْشُلَ ما يَلْزَمُنا مِنَ ٱلْماءِ». فَقالَ زَوْجُها: «لَكِنْ أَخافُ أَنْ تَقَعي في ٱلْبِئْرِ». فَقالَتْ هِيَ: «لا بُدَّ مِنَ الذَّهابِ إِلى ٱلْبِئْرِ؛ لأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ عِنْدَنا ماءٌ لِلشُّرْبِ». ثُمَّ ذَهَبَتْ إِلى ٱلْبِئْرِ، وَصارَتْ تَنْشُلُ الماءَ، فَوَقَعَتْ في الْبِئْرِ. وَبَعْدَ وَقْتٍ قَليلٍ، مَرَّ عَنْها فارِسٌ راكِبٌ عَلَى فَرَسِهِ، فَنادَتْهُ ٱلْخُنْفُسَةُ قائِلَةً: «يا راعي ٱلْفَرَسِ ٱلْفَرْفَسَنِّهْ، يَلِّي حْجُولْها خُرْخَشَنِّهْ، قُولْ لَلْفارِ ابْنِ ٱلْفارْ، الْخُنْفُسِهْ وِقْعَتْ في البيرْ، وِإِذا ما قُلْتِش تِلْزَقْ فيكَ الْحَصيرْ». وَسَمِعَها الْفارِسُ، لَكِنَّهُ، بَعْدَ وُصولِهِ إِلى الْبَلَدِ، جَلَسَ في السّاحَةِ، وَنَسِيَ الْمَوْضوعَ. وَعِنْدَما قامَ لِيُغادِرَ الْمَكانَ، ٱلْتَصَقَتْ بِهِ ٱلْحَصيرَةُ، فَفَطِنَ لِلْخُنْفُسَةِ، وَقالَ لِلنّاسِ الْمَوْجودينَ في السّاحَةِ: «يا حاضِرينَ، أَنا كُنْتُ مارّاً بِجَنْبِ ٱلْبِئْرِ، وَسَمِعْتُ صَوْتاً مِنْ داخِلِ الْبِئْرِ يَقُولُ: «يا راعي ٱلْفَرَسِ ٱلْفَرْفَسَنِّهْ، يَلِّي حْجُولْها





خُرْخَشَنّه، قُولْ لَلْفار آبن الْفار، اَلْخُنُفْسِهْ وِقْعَتْ في الْبِيرْ، وَإذا مَا قُلْتِشْ، تِلْزَقْ فِيكِ الْحَصِيرْ، وَهَا هِيَ الْحَصِيرَةُ مُلْزَقَةٌ بِي، وَهَكَذا يَحْدُثُ لِمَنْ لاَ يُوَصِّلُ الْخَبَرَ لأَهْلِهِ».

وَكَانَ الْفَأر مُخْتَبِئاً في جُحْرِهِ، وَسَمِعَ مَا قَالَ الْفارِسُ، فَرَكَضَ مُسْرِعاً إلى الْبِئْرِ، وَمَدَّ يَدَهُ إلى الْخُنْفُسَةِ، لَكِنْ لَمْ تَصِلْ إِلَيْها، ثُمَّ مَدَّ رِجْلَهُ فَلَمْ تَصِلْ إِلَيْها، فَدَلَّى ذَيْلَهُ الطَّوِيلَ، فأمْسَكَتْ بِهِ الخُنْفُسَةُ، فَنَشَلَها، وَرَاحا يَرْكُضانِ مَعاً في مَرَحٍ كَمَا يَفْعَلُ الشَّبابُ الصِّغارُ.



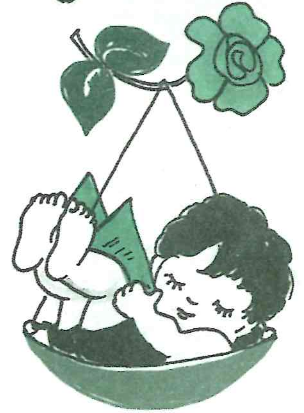




٥ ـ حِكايَةُ: «الطَّبْعُ غَلَبَ التَّطَبُّعَ»



راحَتِ الْبِسَّةُ مَرَّةً إِلى مَكَّةَ، وَرَجَعَتْ وَقَدْ عَلَّقَتْ في عُنُقِها الْمَسابِحَ وَالْأَشْياءَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتي تَحمي مِنَ الشَّرِّ. وَبَعْدَ عَوْدَتِها، دَعَتِ «الْبِسَسَ» وَالفِئرانَ إِلى اجْتِماعٍ، وَقالَتْ لَهُمْ: «انْظُروا، أَنا كُنْتُ في مَكَّةَ، وَتُبْتُ، وَغَيَّرْتُ كُلَّ عاداتي». فَقالَ لَها أَحَدُ الْفِئْرانِ: «قَبْلَ أَيّامٍ، جاءَ واحِدٌ مِنْ جِنْسِكِ وَأَكَلَ فَأْرَةً مِنّا»، وَقالَتْ فَأْرَةٌ ثانِيَةٌ: «انْظُري، أَنا ما زِلْتُ أَلْبَسُ ثَوْبَ الْحِدادِ عَلَيْها». لَكِنَّ فَأْراً آخَرَ خاطَبَ الفِئْرانَ قائِلاً: «يَجِبُ عَلَيْنا أَنْ نُصَدِّقَ «البِسَّةَ» وَنَثِقَ بِها». فَرَدَّتْ عَلَيْهِ الفِئْرانُ، وَقالَتْ لَهُ: «أَنْتَ فَأْرٌ قَوِيٌّ وَشُجاعٌ، فَلِماذا لا تُقابِلُ «الْبِسَّةَ» نِيابَةً عَنّا، وَتَكْتَشِفُ ما إِذا كانَتْ قَدْ تابَتْ فِعْلاً وَغَيَّرَتْ طَبْعَها؟» وافَقَ الفَأْرُ، وَذَهَبَ لِمُقابَلَةِ «الْبِسَّةِ» فَلَمّا اقْتَرَبَ مِنْها، رَأى شَعَراتِ شَوارِبِها تَرْقُصُ، وَمَخالِبَها





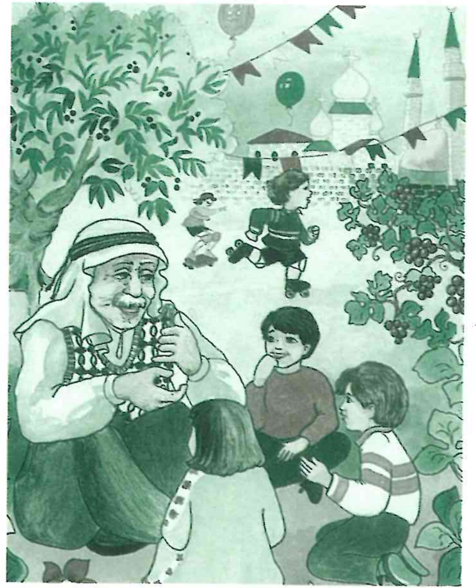
تَتَحَرَّكُ، فَخافَ مِنْها، وَوَلَّى هارِباً وَهُوَ يَصيحُ قائِلاً: «عَادَتْ حَلِيْمةُ لِعادِتْها ٱلْقَديمَة، الطَّبْعُ غَلَبَ التَّطَبُّعَ!».



٦ ـ حِكَايَةُ ٱلْبَطَلِ وَالضَّبْعَيْن



في أَحَدِ الأَحْراشِ، كانَ هُناكَ ضَبْعٌ وَضَبْعَةٌ يَعيشانِ في مَغارَةٍ، وَيَحْرِمانِ أهاليَ البَلْدَةِ المجاوِرَةِ مِنَ الْحُصولِ على الْحَطَبِ. وَتَضايَقَ أَهْلُ ٱلْقَرْيَةِ، فَاجْتَمَعَ رجالُها في السَّاحَةِ، وَراحوا يُفَكِّرونَ في حَلٍّ لِهذِهِ المُشْكِلَة.

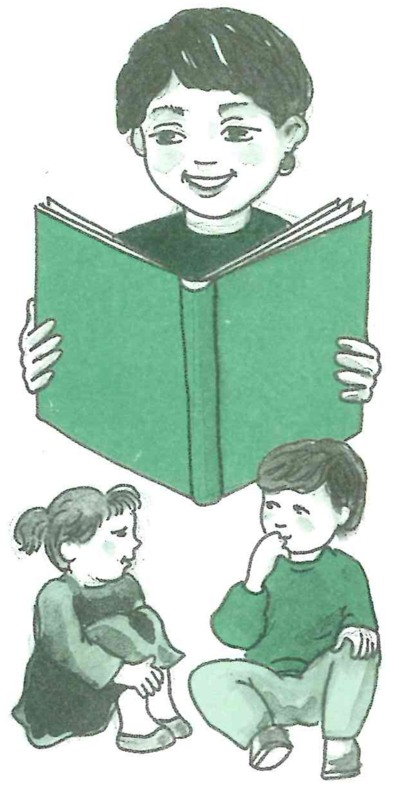


وَبَعْدَ نِقاشٍ طَويلٍ، وَقَفَ شَيْخُ القَرْيَةِ وَأَعْلَنَ قائِلاً: «مَنْ يَقْتُلُ هَذَيْنِ الضَّبْعَيْنِ، سَأَزوجُهُ بِنْتي، وَأُعْطيهِ مَعَها كُلَّ ما تَسْتَحِقُّهُ مِنْ أَمْوالِي». وَكانَ بَيْنَ الْحُضورِ شَابٌّ فَقيرٌ، هُوَ الابْنُ الوَحيدُ لأَرْمَلَةٍ فَقيرَةٍ. فَعِنْدَما سَمِعَ إعْلانَ الشَّيْخِ، رَأى أَنَّ تِلكَ فُرْصَةٌ ذَهَبِيَّةٌ بالنِّسْبَةِ لَهُ، فَصَمَّمَ أَنْ يَصيدَ الضبْعَيْنِ. لِذَلكَ انْسَحَبَ خِفْيَةً مِنَ السَّاحَةِ، وَلَمْ يُخبر أُمَّهُ بما نَوى أَنْ يَعْمَلَ، لأَنَّهُ كانَ يَعْرِفُ أَنها لَوْ عَلِمَتْ بذلِكَ، لَمَنَعَتْهُ مِنَ المُخاطَرَةِ بحَياتِهِ. وَمَضى الشَّابُّ، إلى المَكانِ الَّذي ذَكَرَ النَّاسُ أَنَّ الضَّبْعَيْنِ يكونانِ غالِباً فيهِ، وَلَيْسَ مَعَهُ سِوى خَنْجَرٍ. وعِنْدَما وَصَلَ الْمَكانَ، نامَ عَلَى





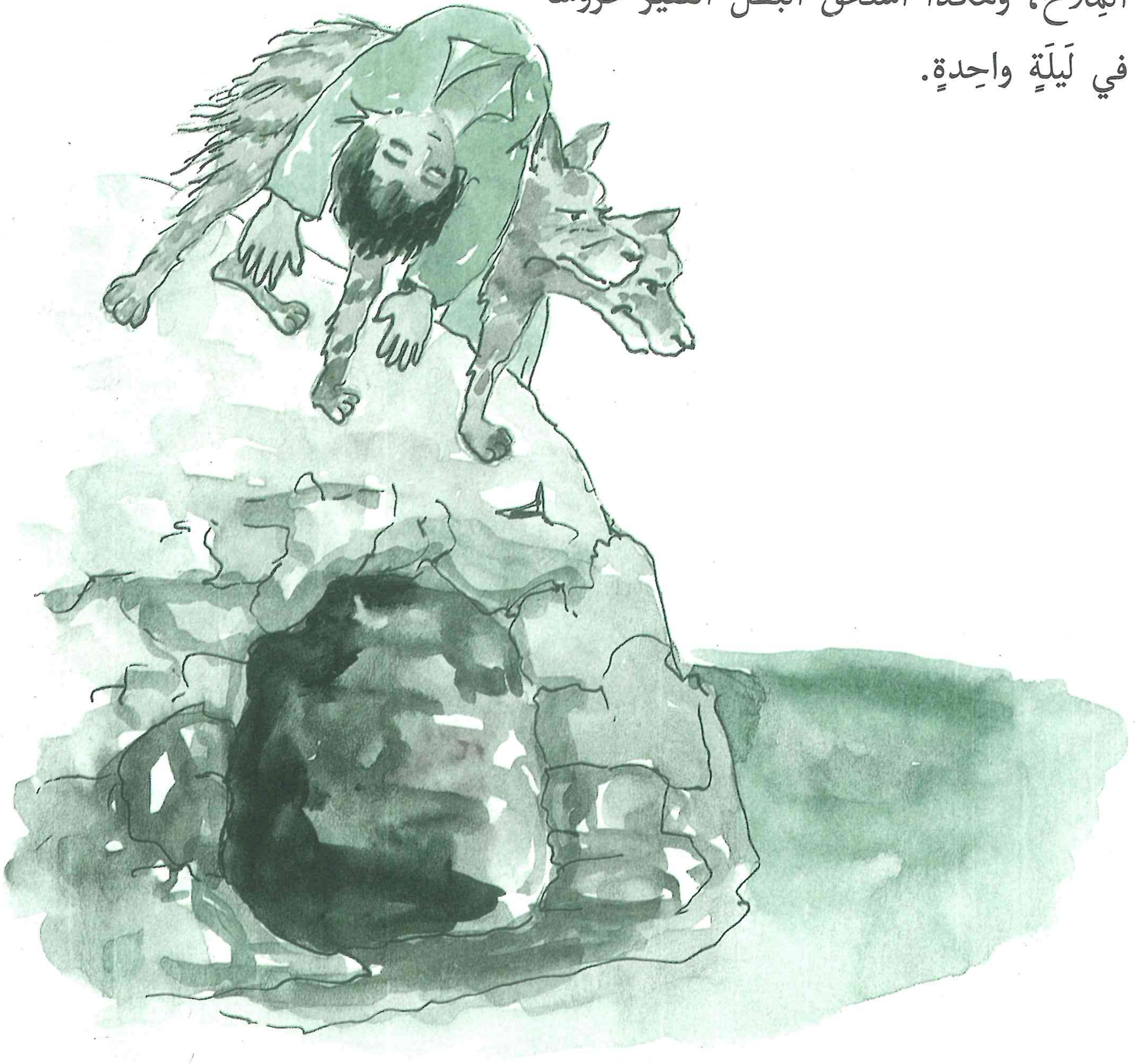
الأرضِ، وَتَظاهَرَ أَنَّهُ مَيِّتٌ. وَلَمّا جاءَ الضَّبْعانِ، شَمّاه، ثُمَّ دَخَلا تَحْتَهُ وَحَمَلاهُ على أَكْتافِهِما، كَما يُحْمَلُ النِّيرُ على رَقَبَتَيْ فَدّانِ البَقَرِ، وَأَخَذاهُ إلى مَغارَتِهِما، وَطَرَحاهُ عَلَى الأَرْضِ. وَهَمْهَمَ الضَّبْعُ لِزَوْجَتِهِ الضَبْعَةِ لِتُخرِجَ الْعِظامَ القَديْمَةَ مِنَ الْمَغارَةِ. وَعِنْدَما انْشَغَلَتِ الضَّبْعَةُ بِتَجْميعِ الْعِظامِ مِنْ عُمْقِ ٱلْمَغارَةِ، وَرأى الشّابُّ نَفسَهُ قَريباً مِنَ الضَّبعِ، اْغْتَنَمَ الفُرْصَةَ وَطَعَنَ الضَّبعَ طَعْنَةً في قَلْبِه فَأَماتَهُ، وَٱخَذَ رأسَهُ، وَخَرَجَ مُسْرِعاً، فَسَدَّ بابَ الْمَغارَةِ عَلى الضَّبْعَةِ بِحَجَرٍ كبيرٍ، ثمَّ حَمَلَ رَأسَ الضَّبعِ وَرَكَضَ عائِداً الى الساحَةِ، وهوَ يَصيحُ عَلى الشَّبابِ مُعْلِناً أَنَّهُ قَتَلَ الضَّبعَ، وَطالِباً مِنَ الشَّبابِ الذِّهابَ مَعَهُ لِقَتلِ الضَّبعةَ التي سَدَّ عليها مغارَتَها. وَٱنْضَمَّ إليه عَدَدٌ من الشَّبابِ، وقتلوا الضَّبْعَةَ، وَعادوا بِجُثَتَي الضَّبعَين مُحَمَّلَتَيْنِ على حِمارٍ، وَجاءوا بِهِما إلى ساحَةِ القَرْيَةِ.







أُعْجِبَ النَّاسُ بِشَجاعَةِ الشَّابِّ، وَزَوَّجَهُ الشَّيخُ مِنْ بِنْتِهِ، وَأَقاموا الْأفراحَ، وَالليالي المِلاحْ، وَهَكَذا اسْتَحَقَّ البَطَلُ الفَقيرُ عَروساً في لَيلَةٍ واحِدةٍ.



٧ ـ حِكايَةُ زَرْدِ ابنْ وَرْدْ



«زَرْدٌ» فَتى يَتيمٌ، ماتَ أبوهُ وَهُوَ صَغيرٌ، وَرَبَتْهُ أُمُّهُ الفَقيرَةُ الَّتي لَمْ يَكُنْ لَها غَيْرُهُ. وَعِنْدَما صارَ الفتى شاباًّ، سَمِعَ يَوْماً أَنَّ المَلِكَ أَعْلَنَ في العاصِمَةِ، أَنَّ ابْنَتَهُ قَررتْ أَنْ تَتَزَوَّجَ، لكِنَّها لَنْ تَتَزَوَّجَ إلاَّ مِنَ الشَّابِ الذي يَسْتطيعُ أَنْ يَحُلَّ مُعجزاتِها الثّلاثَ الَّتي سَتُلقى عَلَيْهِ. لَكِنَّ الشَّابَّ الَّذي يَفْشَلُ، سَيُقْطعُ رَأْسُهُ وَيُعَلَّقُ عَلى سُورِ المَدينَةِ.



وَصارَ الشَّبابُ يَتَنافسونَ في طَلَبِ يَدِها وَيَتَقَدَّمونَ، وَيَفْشَلون، وَتُقْطَع رُؤوسُهُمْ وَتُعَلَّقُ عَلى السُّورِ. وَتَحَمَّسَ «زَرْدٌ»، وَأَرادَ أَنْ يُجرِّبَ حَظَّهُ، لَكِنَّ أُمَّهُ تَوَسَّلَتْ إليهِ، وَبَكَتْ، وَحاوَلَتْ، بِكُلِّ جُهْدِها، أَنْ تَثْنيَهُ عَنْ عَزْمِهِ، لَكِنَّهُ صَمَّمَ عَلى الذَّهابِ، وَقَبَّلَ يَدَيْ أُمِّهِ، وَطَلَبَ مِنها أَنْ تَرْضى عَلَيْهِ، وَأَنْ تَدْعُوَ لَهُ بالنَّجاحِ.



وَانْطَلَقَ، بَعْدَ ذلِكَ، مَشْياً عَلَى الأَقْدام، باتِّجاه العاصِمَةِ البَعيْدَة، فَكانَ يَسيرُ يومياً حتَّى يَتْعَبَ، فَيَسْتَريح في أيِّ مكانٍ يراهُ



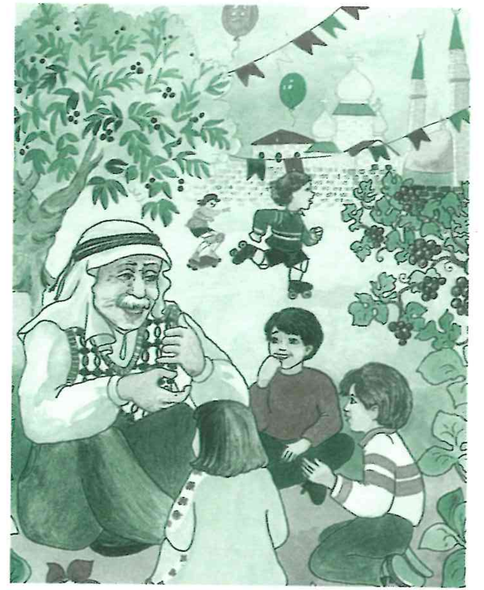


مُنـاسِبـاً. وَفـي أحَدِ الأيَّامِ، وَقُبَيْلَ غِيـابِ الشَّمْسِ، رأى مَغارَةً إلى جانِبِ الطَّريقِ، فَقَرَّرَ أنْ يَسْتَريحَ فيها تِلكَ الليلَةَ، حَتَّى الصَّباحِ.

وَقُبَيْلَ الْفَجرِ، صَحا «زَرْدٌ» مِنْ نَوْمِهِ لِيَرى شَيْخاً جَليلاً مُنْتَصِباً أمامَهُ، وَيَقُولُ لَهُ: «أَنْتَ فَتىً شُجاعٌ يا زَرْدُ، لَكِنْ أَمامَكَ مَخاطِرُ كَبيرَةٌ: أَمامَكَ وَادي النَّمْلِ، وَبَعْدَهُ وَادي الغِرْبانِ، وَبَعْدَ ذلِكَ مُعْجِزاتُ بِنْتِ الْمَلِكِ. خُذْ مِنِّي هَذِهِ الأَشْياءَ لِتُساعِدَكَ في مَهامِّكَ الصَّعْبَةِ: هاتانِ شَعْرَتانِ: واحِدَةٌ تُعطيها لِشَيْخِ النَّمْلِ، وَالثَّانِيَةُ تُعْطيها لِشَيْخِ الغِرْبانِ. وَهَذه طَقِيَّةُ إخْفاءٍ، مَنْ يَلْبَسُها لا يَسْتَطيعُ أَحَدٌ أَنْ يَراهُ، وَهَذِهِ سِجَّادَةٌ طائِرَةٌ». قالَ الشَّيْخُ ذلِكَ، وَاخْتَفى.

وَقامَ «زَرْدٌ» فَواصَلَ مَسيرَتَهُ حَتَّى وَصَلَ إلى وَادي النَّمْلِ، فَوَجَدَ الْمَكانَ يَهْدِرُ بِمَلايينِ النَّمْلِ، فَنادى شَيْخَ النَّمْلِ، وَأَعْطاهُ الشَّعْرَةَ، فَقَبَّلَها شَيْخُ النَّمْلِ وَأَعْطاهُ بَدَلاً مِنها شَعْرَةً مِنْهُ، قالَ لَهُ أَنْ يَحْرِقَها إذا احْتاجَ مُساعَدَةَ النَّمْلِ، وَسَيَأْتيهِ النَّمْلُ في الحالِ أَيْنَما يَكونُ.







بَعْدَ ذلِكَ، وَصَلَ إلى وَادي الغِرْبانِ فَوَجَدَها تَمْلأُ الْجَوَّ وَالأَرْضَ، وَنادى عَلى شَيْخِهـا، وَأَعْطاهُ الشَّعْرَةَ الثَّانِيَةَ، فَقَبلَها شَيْخُ الغِرْبانِ، وَأَعْطاهُ بَدَلاً مِنْها رِيشَةً مِنْ رِيشِهِ، وَطلبَ منه أَنْ يَحْرِقَهـا إِذا احْتـاجَ مُساعَدَةَ الْغِرْبـان، وَسَتَصِلُهُ في الحالِ أَيْنَما يَكُونُ.

وَاصَلَ «زَرْدٌ» رِحْلَتَهُ، بَعْدَ ذَلِكَ، حَتَّى وَصَلَ الْعـاصِمَةَ. وَهُنـاكَ اسْتَراحَ يَومـاً أَوْ يَوْمَيْنِ، ثُمَّ ذَهَبَ إلى قَصْرِ الْمَلِكِ لِيُعْلِنَ أَنَّهُ قادِمٌ لِطَلَبِ يَدِ ابنته. فَلَمَّا رَآهُ رَئيسُ الْحَرَسِ الْمَلَكِيّ في ثِيابِهِ الرَّثَّةِ، احْتَقَرَهُ وَطَرَدَهُ مِنْ بابِ الْقَصرِ. عِنْدَ ذلِكَ، تَذَكَّرَ «زَرْدٌ» طَاقِيَّةَ الإِخْفـاءِ فَلَبِسَهَا، وَعَبَرَ إلـى الْقَصْرِ، وَصَعَدَ الـدَّرَجَ الطَّويـلَ مِنْ بَيْنِ الْجُنـودِ الـحُرّاسِ الْمُصْطَفّينَ عَلَى جانِبَيْهِ، وَلَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ. فَرِحَ «زَرْدٌ» بِذلِكَ، وَتَجَوَّلَ في أَنْحاءِ الْقَصرِ، وَدَخَلَ إلى غُرْفَةِ بِنْتِ الْمَلِكِ، فَرَأَى فَتاةً جَميلَةً، وَجْهُها كَالْبَدرِ لَيْلَةَ تَمامِهِ. بَعدَ ذَلِكَ، عَادَ وَنَزَلَ عَنِ الدَرَجِ، وَصارَ يَضْرِبُ الْجنودَ عَلى الصَّفينِ بِكوعَيْهِ، فَصارَ كُلُّ جُنْديٍّ يَظُنُّ

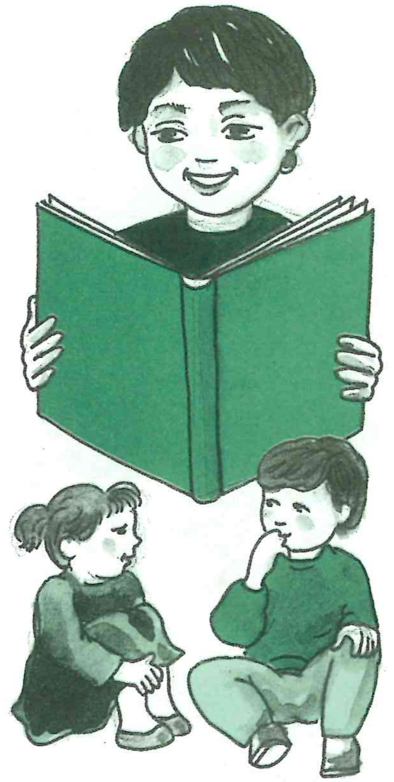






أَنَّ الْجُنْديَّ ٱلْمُقابلَ لَهُ هُوَ الذي ضَرَبَهُ، فَقامَ الشِّجارُ بَيْنَهم، وَضَرَبُوا بعضَهُم بَعْضاً، وَهُوَ يَتَفَرَّجُ عَلَيْهِمْ. ثُمَّ دَخَلَ إلى غُرْفَةِ رئيسِ ٱلْحَرَسِ، فَوَجَدَهُ جالِساً عَلَى مَكْتبِهِ، فَضَرَبَهُ كَفاً عَلَى رَقَبَتِهِ، فأَجْفَلَ الرَّئيسُ، وَنظَرَ حَوْلَهُ فلَمْ يَجِدْ أَحَداً، فَعادَ إلى ما كانَ عَلَيْهِ، فَضَرَبَهُ «زَرْدٌ» كَفاً آخَرَ أَشَدَّ مِنَ الأَوَّلِ، فَارْتَعَبَ الرَّئيسُ، وَحاوَلَ أَنْ يَهْرُبَ مِنَ الغُرْفَة، فَصاحَ فيهِ «زَرْدٌ» قائِلاً: «قف مكانَكَ، أنتَ دونَ حَقٍّ أَهَنْتَ شابّاً اسمُهُ «زَرْدٌ» وطَرَدْتَهُ عِنْدَما جاءَ لِيَتَقَدَّمَ لِطَلَب يَدِ ٱبْنَةِ الْمَلِكِ. سوفَ يَأْتيكَ مَرَّةً ثانِيَةً غداً صباحاً، إياكَ، ثم إيّاكَ أنْ تَمْنَعَهُ، أَوْ تُسيءَ مُعامَلَتَهُ، وَخُذْ هذِهِ اللَّطمَةَ حَتى تَتَذَكَّرَ هذِهِ الوَصِيَّة. قالَ «زَرْدٌ» ذلكَ وصَفَعَ الرَّئيسَ عَلَى وَجْهِهِ بِشِدَّةٍ، وَغادَرَ الغُرْفَةَ دونَ أَنْ يَراهُ أَحَدٌ.

وَفي اليَوْمِ التّالي، عادَ «زَرْدٌ» إلى القصرِ فَأَحْسَنَ رَئيسُ الحَرَسِ اسْتِقبالَهُ، وَأَوْصَلَهُ إلى المَلِكِ، فَقالَ لَهُ الْمَلِكُ: «هَلْ رَأَيْتَ الرُّؤوسَ الْمُعَلَّقَةَ عَلَى السُّورِ؟» قالَ «زَرْدٌ»: «نَعَمْ يا







مَلِكَ الزَّمانِ». فَقالَ المَلِكُ: «سَيُعَلَّقُ رَأْسُكَ هُناكَ إذا فَشِلْتَ في حَلِّ ٱلْمُعْجِزاتِ الَّتي سَتُلْقى عَلَيْكَ». قالَ «زَرْدٌ»: «أنا مُوافِقٌ يا مَلِكَ الزَّمانِ»، فَقالَ المَلِكُ لِرِجالِهِ: «أَعْطوهُ الْفُرْصَةَ وَجَرِّبُوهُ كَما جَرَّبْتُمْ مَنْ سَبَقُوهُ».

وفي الحال، أَخَذوهُ إلى مَخزَنٍ كَبيرٍ قَدْ مُلِىءَ بِحُبوبِ القَمحِ وَالسِّمْسِمِ وَالعَدَسِ والذُّرَةِ مَخلوطةً بِبَعْضِها بعضاً، وَأَدْخَلوهُ فيه، وَقالوا لَهُ أنَّ عَلَيْهِ أنْ يَفرِزَ كُلَّ صِنفٍ مِنْ تِلْكَ ٱلْحُبوبِ إلى جانِبٍ، وأنَّهُ إنْ طَلِعَ عَلَيْهِ النَّهارُ قَبْلَ أنْ يُنْجِزَ تِلْكَ العَمَلِيَّةَ، فَسَوفَ يُقْطَعُ رَأسُهُ، ثُمَّ سَكَّروا عَلَيهِ المَخْزَنَ وَانْصَرَفوا.

فوجِىءَ «زَرْدٌ» بِهذِهِ المعجزَةِ، وَجَلَسَ ساعاتٍ مَهموماً مَغموماً، يُفَكِّرُ في مَخرجٍ مِنْ هذه الوَرْطَةِ. وَفَجأةً تَذَكَّرَ أَنَّ مَعَهُ شَعْرَةَ شَيخِ النَّملِ، فَأَخْرَجَها وأَحْرَقَها. وفي الحال ٱنْهالَ النَّملُ عَلى المَخزَنِ بالمَلايين، وفرزوا كُلَّ صِنْفٍ مِنَ الحُبوبِ إلى جانِبٍ، وعادوا الى واديهم.



وفي الصَّباح، جَاءَ رجالُ الْملكِ، وَفتَحوا الْمَخْزَنَ، فَوَجَدوا كُلَّ صِنفٍ مُكَوَّماً وَحْدَهُ في جانِبٍ من جَوانِب المخزن، وَوَجدوا «زَرْداً» نَائماً فَوْقَ رَأسِ كَوْمِ القمحِ فَنَبَّهوهُ قائلين: «واللهِ يا عَمُّ يَحِقُّ لَكَ أَن تنامَ!» ثُمَّ ذَهَبُوا الى ٱلْمَلكِ وَأخبَروهُ بالنَّتيجَة.



وفي المساءِ، عادَ رجالُ المَلِكِ، وأخذوا «زَرْداً» إلى مخزنٍ كَبيرٍ آخَرَ، قَدْ مُلِىءَ تماماً بِقِطَعِ اللَّحم، وَقالوا لَهُ «مَعَكَ مُهلَةٌ حتى الصَّباح، لِتَأكلَ هَذِهِ اللُّحومَ، وإلاَّ فَسَوْفَ يُقْطَعُ رَأْسُكَ». ثمَّ سَكَّروا عليهِ ٱلْمَخْزَنَ، وانصرفوا. وَوَقَفَ هُوَ حَائِراً لا يَدري ما يَفعَلُ كما في اللَّيلةِ السَّابِقَة، الى أن تذكَّرَ ريشَةَ الغراب، فَأَخْرَجَ الريشَةَ وَحرَقَها. وفي الحال، هَجَمَتْ الغِرْبانُ على المَخْزَنِ مِنْ كُلِّ النَّوافذِ، وأخَذَتْ تَلْتَهِمُ قِطَعَ اللَّحمِ أو تَنقُلُها بَعيداً، وَشَربَتْ حَتَّى ما تجمَّعَ مِنَ الدماءِ عَلَى أرضِ ٱلْمَخْزَنِ. وَفي الصَّباحِ، جاءَ رجالُ المَلكِ وهُم على ثِقَةٍ بأَنَّهُمْ سَيأخذونَ الشَّابَّ هذه المَرَّةَ إلى الجلَّادِ ليقْطَعَ رَأْسَهُ. وَعِندما فَتَحوا المخزَنَ صَدَمَتْهُم



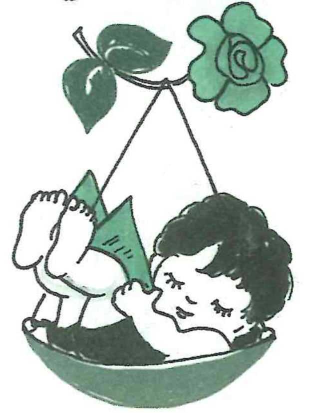
المفاجأةُ، فقد رَأَوْا أنَّ «زَرْداً» قد نَفَّذَ المَهمَّةَ بِنجاحٍ. وذهبوا، وخبروا المَلِكَ بِذلِكَ.

وَفي صَباحِ الْيَوْمِ الثّالِثِ، تَجَمَّعَ أَهْلُ الْمَدينَةِ عِنْدَ النَّخْلَةِ الطَّويلَةِ في بُسْتانِ الْمَلِك، وَدُعِيَ «زَرْدٌ» لِحَلِّ الْمُعْجِزَةِ الثّالِثَةِ وَالأخيرَة، فَأَوْقَفَهُ أَحَدُ رِجالِ الْمَلِكِ عِنْدَ أَدْنى جِذْعِ النَّخْلَةِ، وَقالَ لَهُ: «انْظُرْ إِلى هَذِه النَّخْلَة الطَّويلَةِ، عَلَيْكَ أَنْ تَضعَ هَذِهِ الْكَأْسَ الْمَليئَةَ بالْماءِ عَلَى راحَةِ يَدِكَ، وَتَصْعَد بها إلى أَعْلى النَّخْلَةِ وَتَنْزِلَ، دُونَ أَنْ تَقْطُرَ مِنْها أَيَّةُ نُقْطَةِ ماءٍ، وَإِلّا فَسَوْفَ يُقْطَعُ رَأْسُكَ.»

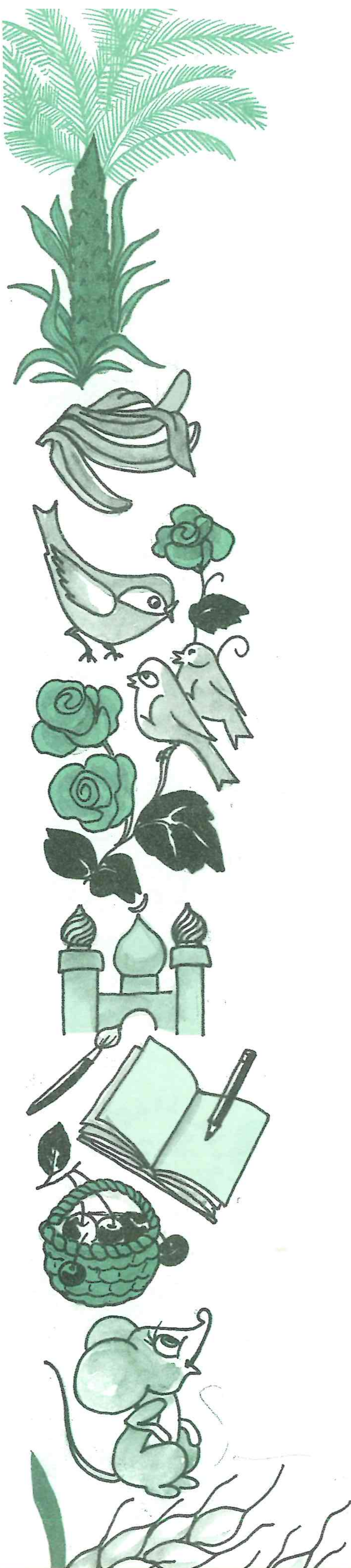
وَتَذَكَّرَ «زَرْدٌ» السَّجّادَةَ الطّائِرَةَ، فَأَخْرَجَها مِنْ جَيْبِهِ، وَفَرَشَها عَلى الأَرْضِ بِمُحاذاةِ جِذْعِ النَّخْلَةِ، وَجَلَسَ عَلَيْها، وَوَضَعَ الْكَأْسَ عَلى راحَةِ يَدِهِ الْيُسْرى، وَدَقَّ عَلَى السَّجّادَةِ بِيَدِه الْيُمْنَى قائِلاً: «اصْعدي بي يا مَبْرُوكَةُ بِهُدُوءٍ إلى قِمَّةِ النَّخْلَةِ، ثُمَّ اهْبطي بي إلى هُنا بِهُدُوءٍ». وَأَمامَ دَهْشَةِ الْحاضِرينَ وَهُتافِهِمْ، اَرْتَفَعَ «زَرْدٌ» صُعُوداً إلى قِمَّةِ











النَّخْلَةِ، ثُمَّ هَبَطَ نُزُولاً إلى الأَرْضِ، دُونَ أَنْ تَسْقُطَ قَطْرَةُ مَاءٍ وَاحِدَةٌ مِنَ الْكأسِ.

وَأُبْلِغَ الْمَلِكُ بِأَنَّ الْمُعْجِزَةَ الثَّالِثَةَ قَدْ تَمَّتْ بِنَجَاحٍ، فَاسْتَدْعَى «زَرْداً»، وَزَوَّجَهُ ابْنَتَهُ، وَنَادى الْمُنَادِي في الْمَدِينَةِ، وفي أَنْحاءِ الْمَمْلَكَةِ، بِإِقَامَةِ الأَفراحِ وَاللَّيَالِي الْمِلاحِ احْتفالاً بِزَوَاجِ «زَرْدٍ» وَابْنَةِ الْمَلِكِ. وَأَرْسَلَ «زَرْدٌ»، مَنْ أَحْضَرَ لَهُ أُمَّهُ، وَعَاشَ الْجَمِيعُ في خَيْرٍ وَسَعَادَةٍ.



٨ ـ حِكايَةُ الأَوْلادِ السَّبعَةِ الّذينَ سُحِرُوا إلى عُجُولٍ

في ماضي الزَّمانِ، حَدَثَ أَنَّ شابَّيْنِ جارَيْنِ، تزَوَّجا في نفسِ ٱلْوَقْتِ مِنْ بِنْتَيْنِ هُما سعادُ وَمَرْيَمُ. وَصارَتِ الزَّوْجتانِ تَحْبَلانِ وَتلِدانِ في نفْسِ ٱلْمَوْعِدِ. وَكانَتْ سُعادُ تَلِدُ أَولاداً، أَمَّا مَرْيَمُ فَكانَتْ تَلِدُ بَناتٍ. فَصارَتْ مَرْيَمُ تَغارُ مِنْ سُعادَ وتَحْسُدُها، وَلا سِيَّما أَنَّ زَوْجَ مَرْيَمَ كانَ دائِما يُعايِرُها بِأَنَّها أُمُّ الْبَناتِ، وأَنَّ سُعادَ أُمُّ الأَوْلادِ. أَمَّا زَوْجُ سُعادَ، فَإِنَّهُ كانَ يَتَمَنّى لَوْ تَلِدُ لَهُ زَوْجَتُهُ بِنْتاً. فَلَمّا حَمَلَتْ سُعادُ لِلْمَرَّةِ الثّامِنَةِ، وَقَرُبَ مَوْعِدُ ولادَتِها، قالَ لَها زَوْجُها: «أَنا ذاهِبٌ إِلى ٱلْكَرْمِ، فَإِذا وَضَعْتِ بِنْتاً، عَلِّقي الْمُكْحُلَةَ على الْبابِ، حَتّى أَعْرِفَ أَنَّكِ وَضَعْتِ بِنْتاً، فَأَعُودَ إِلى الْبَيْتِ. وَإِذا وَضَعْتِ وَلَداً، عَلِّقي مِخْلاةَ الْحِصانِ، حَتّى أَعْرِفَ أَنَّكِ وَضَعْتِ وَلَدا، فَأَرْحَلَ عَنْ هَذِهِ ٱلْبَلَدِ.

وَضَعَتْ سُعادُ بِنْتاً سَمَّتْها «هِنْداً»، وَطارَتْ مِنَ الْفَرَحِ؛ لأَنَّ زَوْجَها سَيَبْقى مَع











الأُسْرَةِ وَلَنْ يَهْجُرَهَا وَيُغادِرَ الْبَلَدِ. لِذلِكَ طَلَبَتْ مِنْ جارَتِها مَرْيَمَ، أَنْ تُعَلِّقَ ٱلْمُكْحُلَةَ عَلَى الْبابِ، لٰكِنَّ مَرْيَمَ ٱلْحاقِدَةَ، استغلَّت الْفُرصَةَ، وَعَلَّقَتِ الْمِخْلاةَ. فَلَمَّا رجع زَوْجُ سُعادَ، وَرَأَى الْمِخْلاةَ مُعَلَّقَةً، ٱعْتَبَرَ أَنَّ زَوْجَتَهُ وَلَدَتْ وَلَداً، فَغَضِبَ، وَهجر بَيْتَهُ، وَرحلَ عَن ٱلْبَلَدِ.

وَصارَ ٱلْأَوْلادُ وَأُخْتُهُم هِنْدٌ يَكْبُرون، لٰكِنَّ مَعيشَتَهُمْ، دُونَ أَبٍ، كانَتْ تسيرُ مِنْ سَيِّيءٍ إِلى أَسْوَأَ؛ فَقَدْ مَرِضَتْ أُمُّهُمْ بِسَبَبِ حُزْنِها الشَّديدِ عَلى زَوْجِها وَماتَتْ. وَعَلى أَثَرِ ذلِكَ، صارَتْ هِنْدٌ تَشْتَغِلُ خادِمَةً عِنْدَ مَرْيَمَ لِكَيْ تُعيلَ إِخْوَتَها. لٰكِنَّ مَرْيَمَ ظَلَّ ٱلْحَسَدُ يَأْكُلُ قَلْبَها، فَذَهَبَتْ إِلى عَجوزٍ ساحِرَةٍ، وَطَلَبَتْ مِنْها أَنْ تَسْحَرَ أَبْناءَ جارَتِها، فَباعَتْها ٱلْعَجُوزُ سَبْعَةَ أَحْذِيَةٍ سِحْرِيَّةٍ. وَعادَتْ مَرْيَمُ بِالأَحْذِيَةِ السَّبْعَةِ، فَنادَتْ هِنْداً، وَقالَتْ لَها: إِنَّها أَحْضَرَتْ لَها هَدِيَّةً لِإِخْوَتِها، وَأَعْطَتْها الأَحْذِيَةَ. فَرِحَتْ هِنْدٌ لِذلِكَ فَرَحاً شَديداً؛ لِأَنَّ إِخْوَتَها كانُوا حُفاةً، فَأَخَذَتِ الأَحْذِيَةَ وَأَلْبَسَتْها لَهُمْ. وَيا لَيْتَها لَمْ تَفْعَلْ! فَقَدْ تَحَوَّلَ

إِخْوَتُها إلى عُجُولٍ. وَصُعِقَتْ هِنْدٌ لِمَا حَدَثَ، وَبَكَتْ، وَصَرَخَتْ كَالْمَجْنُونَةِ. ثُمَّ سَاقَتْ إِخْوَتَها، وَرَحَلَتْ عَنِ الْبَلْدَةِ دُونَ أَنْ تَدْرِيَ إلى أَيْنَ تَذْهَبُ. وَتَجَوَّلَتْ في البَرِّيَّةِ عَلَى مَدَى سَبْعِ سَنَوَاتٍ تَعِيشُ هِيَ وَإِخْوَتُها الْعُجُولُ عَلَى الأَعْشابِ. وَفي أَحَدِ الأَيَّامِ، مَرَّتْ مَعَ إِخْوَتِها مِنَ الْمَدينَةِ، وَجَلَسَتْ في ظِلِّ قَصْرٍ تَسْتَريحُ، وَإِخْوَتُهـا إلى جَانِبِها، وَإِذا بِإِحْدى جَواري الْقَصْرِ، تَرْمي نُفاياتِ الْقَصْرِ قَريباً مِنْ هِنْد. فَصارَتْ هِنْدٌ، تَنْتَقي أَحْسَنَ الْفَضَلاتِ، وَتُطْعِمُ الْعُجولَ، وَتَأْكُلُ هِيَ مَا يَتَبَقَّى مِنَ الْفَضَلاتِ. وَأَقَامَتْ أَيَّاماً عَلَى تِلْكَ الْحالِ، فَلاحَظَتِ الْجارِيَةُ أَحْوالَها، وَمُعامَلَتَها الْغَريبَةَ لِلْعُجُولِ، وَأَخْبَرَتِ الْمَلِكَ بِذَلِكَ. أَمَرَ الْمَلِكُ الْجارِيَةَ، أَنْ تُحْضِرَ هِنْداً إلى مَجْلِسِهِ لِيَعْرِفَ مِنْها حَقيقَةَ قِصَّتِها الْغَريبَةِ، لَكِنَّ هِنْداً رَفَضَتْ أَنْ تَدْخُلَ الْقَصْرَ، إِلَّا إِذا أُدْخِلَ الْعُجولُ السَّبْعَةُ مَعَها، وَعُومِلوا كَبَشَرٍ لأَنَّهُمْ إِخْوَتُها. فَلَما وافَقَ الْمَلِكُ عَلى ذَلِكَ، دَخَلَتْ إلى الْقَصْرِ هِيَ وَالْعُجُولُ، وَوُضِعَ كُلُّ عِجْلٍ في غُرْفَةٍ، وَأُعْطِيَتْ هي غُرْفَةً







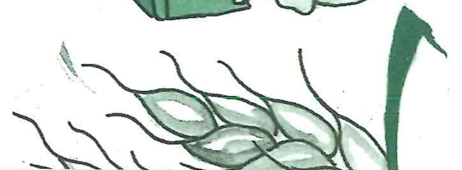


خاصَّةً بها. وَلَمّا وَقَفَتْ أَمامَ الْمَلِكِ، أُعْجِبَ بِهَا، وَدَعا أَخَواتِهِ السَّبْعَ لِرُؤْيتِها، فَأُعْجِبْنَ بها كَذلِكَ، ووافَقْنَ أخاهُنَّ الْمَلِكَ عَلى زَواجِهِ مِنها. وَتَمَّ ذَلِكَ ٱلأَمْرُ، فَتَزَوَّجَ الْمَلِكُ مِنْ هِنْدٍ، وَصارَتْ هِيَ تَقُومُ عَلَى خِدْمَةِ إِخْوَتِها الْعُجُولِ، وَتُنادِيهِمْ بِأَسْمائِهِمْ، وَٱلْمَلِكُ يَتَعَجَّبُ مِنْ ذَلِكَ. وَمَرَّتِ ٱلأَيَّامُ، فَحبلَتْ هِنْدٌ، وَوَلَدتْ وَلَداً صارَ وَلِيَّ عَهْدٍ لِلْمَلِكِ، فَأَقامَ المَلِكُ حَفْلَةً كُبْرى بِهَذِهِ الْمُناسَبَةِ السَّعيدَةِ، وَدُعِيَ النّاسُ دَعْوَةً عامَّةً لِلْمُشارَكَةِ في تِلْكَ ٱلْحَفْلَةِ.

وَكانَتْ مَرْيَمُ مِنْ جُمْلَةِ ٱلْمَدْعُوِّينَ، فَلَمّا رَأَتْ هِنْداً، وَما هِيَ عَلَيْهِ مِنْ عِزٍّ وَرَفاهِيَةٍ تَحَرَّكَتْ عَوامِلُ الْحَسَدِ وَٱلْحِقْدِ في نَفْسِها، فَعانَقَتْ هِنْداً، وَبارَكَتْ لَها، ذَلِكَ كانَ نِفاقاً. وَفي الْيَوْمِ التّالي، أَسْرَعَتْ مَرْيَمُ إلى عَجُوزَتِها السّاحِرَةِ، وَطَلَبَتْ مِنْها أَنْ تَسْحَرَ لَها هِنْداً، فَباعَتْها الْعَجُوزُ ٱثْنَيْ عُشَرَ دَبُّوساً سِحْرِياً، لِتَغْرِسَها في رَأْسِ هِنْدٍ، فَتَتَحَوَّلَ إلى حَمامَةٍ. وَأَخَذَتْ مَرْيَمُ الدَّبابيسَ، وَعادَتْ إلى ٱلْقَصْرِ، وَتَحايَلَتْ عَلَى هِنْدٍ، حَتّى أَقْنَعَتْها أَنْ تُسَرِّحَ لَها









شَعْرَهَا. ثُمَّ صارَتْ تَغْرِسُ الدّبابيسَ في رَأْسِها، وَصارَتْ هِنْدٌ تَنْكَمِشُ وَتَصْغُرُ مَعَ غَرْسِ كُلِّ دَبّوسٍ. فَلَمّا غُرِسَ الدبّوسُ الثّاني عَشَرَ في رَأْسِها، تَحَوَّلَتْ إلى حَمامَةٍ، وَطارَتْ تارِكَةً ابْنَها، وَزَوْجَها، وَإِخْوَتَها، وَالْقَصْرَ جَميعَهُ.

عِنْدَ ذَلِكَ، لَبِسَتْ مَرْيَمُ مَلابِسَ هِنْدٍ، وَتَهَيَّأَتْ بِهَيْئَتِها. لَكِنَّ الْمَلِكَ بَدَأَ يُحِسُّ كَأَنَّ زَوْجَتَهُ غَيَّرَتْ طَبْعَها، وَلِذَلِكَ صارَتْ مُجالَسَتُهُ لَها تَقِلُّ شَيْئاً فَشَيْئاً. وَكَذَلِكَ الطِّفْلُ، صارَ يَرْفُضُ أَنْ يَرْضَعَ مِنْها، بَلْ يَبْكي كُلَّما حَمَلَتْهُ. وَفي كُلِّ صَباحٍ، كانَ يَحْبُو وَيَصْعَدُ إِلى سَطْحِ الْقَصْرِ، وَيُنادي رَفَّ الْحَمامِ قائِلاً:

يا حَمامْ يا لَمّامْ　　أُمّي وَرا وِالّا قُدّامْ؟

وَيَرُدُّ عَلَيْهِ الْحَمامُ قائِلاً:

أُمَّكَ في الصَّفِّ الْوَرّاني　　تَبْكي إِبْنِها والسَّبعِ ثيرانِ

وَيُغَنّي الْوَلَدُ ثانِيَةً قائِلاً:

يا حَمامْ يا لَمّامْ　　أُمّي وَرا وِالّا قُدّامْ؟

فَيَرُدُّ عَلَيْهِ الْحَمامُ قائِلاً:

أُمَّكْ جاي أُمَّكْ جاي　　حَضِّرْ حالَكْ يا فَتايْ

وَعِنْدَ ذَلِكَ، تَحُطُّ حَمَامَةٌ كَبِيرَةٌ في حِضْنِ الطِّفْلِ، وَتَتَمَرَّغُ بَيْنَ ذِرَاعَيْهِ، وَتَبْكِي، وَيَبْكِي الطِّفْلُ. وَكُلَّما بَكَتْ، كَانَتْ تَتَساقَطُ مِنْ عَيْنَيْها حَبّاتٌ مِنَ اللُّؤْلُؤِ وَالْمَرْجانِ بَدَلاً مِنَ الدُّمُوعِ.

وَمَرَّتِ الأَيّامُ عَلَى تِلْكَ الحالِ، وَضَعُفَ الطِّفْلُ، وَلَمْ يَنْفَعْ مَعَهُ العِلاجُ، وَلَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ سِرَّ ضَعْفِهِ وَهُزالِهِ. وَفي أَحَدِ الأَيّامِ، صَعَدَتْ إِحْدى الْجَواري إِلى سَطْحِ الْقَصْرِ لِتُنَظِّفَهُ، فَفُوجِئَتْ بِوُجُودِ الْكَثيرِ مِنَ اللُّؤْلُؤِ وَالْمَرْجانِ هُناكَ، وَأَخْبَرَتِ الْمَلِكَ بِما رَأَتْ، فَأَمَرَها أَنْ تَجْمَعَ اللُّؤْلُوَ وَالْمَرْجانَ، وَتُعْطِيَهِ لِوالِدَتِهِ، وَأَنْ تُراقِبَ السَّطْحَ لِتَرى مِن أَيْنَ جاءَتْ تِلْكَ الأَشْياءُ.

وَفي هَذِهِ الأَثْناءِ، طَلَبَتْ مَرْيَمُ الْمُتَخَفِّيَةُ في صُورَةِ هِنْدٍ، أَنْ يَأْمُرَ الْمَلِكُ بِذَبْحِ الْعُجُولِ السَّبْعَةِ؛ لأَنَّها مَلَّتْ مِنْها وَمِن خِدْمَتِها. فَاسْتَغْرَبَ الْمَلِكُ ذَلِكَ الطَّلَبَ، لَكِنْ لِكَثْرَةِ إِلْحاحِها، أَمَرَ الْمُنادي أَنْ يُنادِيَ في الْمَدينَةِ، وَيَطْلُبَ مِنَ النّاسِ إِعْدادَ الْحَطَبِ،











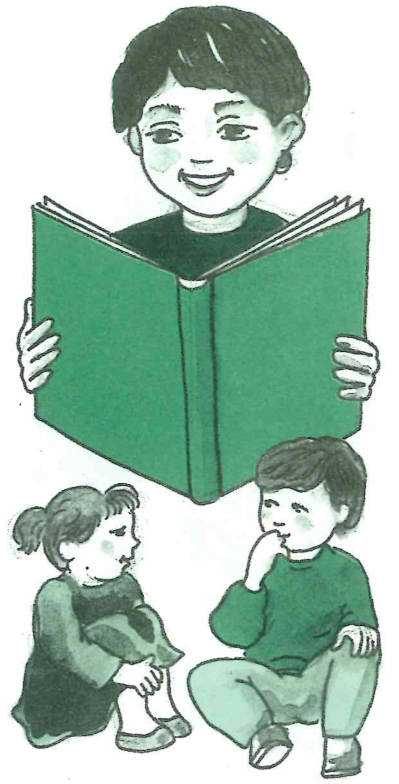


لِطَبْخِ الْعُجُولِ في يَوْمٍ مَعْلومٍ. وَٱسْتَجابَ النَّاسُ لِلنِّداءِ، وَبَدَءوا يُحْضِرونَ حُزَمَ الْحَطَبِ إِلى السَّاحَةِ الْعامَّةِ.

أَمَّا الْجارِيَةُ، الَّتي كانَتْ تُراقِبُ سَطْحَ الْقَصْرِ، فَقَدِ اكْتَشَفَتْ أَنَّ الطِّفْلَ، وَلِيَّ الْعَهْدِ، كانَ يَصْعَدُ إلى السَّطْحِ، وَيُنادي رَفَّ الْحَمامِ، وَيَرُدُّ عَلَيْهِ الْحَمامُ، وَيَحْدُثُ كُلُّ شيءٍ كَما في الْمَرَّةِ السَّابِقَةِ. وَأَخْبَرَتِ الْجارِيَةُ الْمَلِكَ بِذَلِكَ، فَأَمَرَها أَنْ تَكْتُمَ ٱلْخَبَرَ، وَصارَ هُوَ نَفْسُهُ يُراقِبُ حَرَكاتِ وَلَدِهِ، إلى أَنْ رَآهُ يَوْماً يَصْعَدُ إلى السَّطْحِ، فَتَبِعَهُ دُونَ أَنْ يُشْعِرَهُ بِذلِكَ. وَنادى الْوَلَدُ رَفَّ الْحَمامِ كَعادَتِهِ، وَٱسْتَجابَ لَهُ الْحَمامُ، وَنَزَلَتِ ٱلْحَمامَةُ، وَبَدَأَتْ تَتَمَرَّغُ في حِضْنِهِ، فَقَفَزَ الْمَلِكُ بِخِفَّةٍ، وَأَمْسَكَ بِالْحَمامَةِ، وَبَدَأَ يَتَحَسَّسُ جِسْمَها، فَلَمَسَ وُجودَ الدَّبابيسِ في رَأْسِها، فَصارَ يَنْزِعُها واحِداً واحِداً، وَكُلَّما نَزَعَ دَبُّوساً كَبِرَتِ ٱلْحَمامَةُ، إلى أَنْ نَزَعَ الدَّبوسَ الثَّاني عَشَرَ، فَانْتَفَضَتِ الْحَمامَةُ، فَإِذا هِيَ هِنْدٌ بِذاتِها. ضَمَّها الْمَلِكُ هِيَ وَٱبْنَها، وَعادَ بِهِما الى القَصرِ

وَفهِمَ مِنها حِكايةَ مَرْيَم الحَسود. بَعْدَ ذلك، نـادَى الـمـلـك مَرْيَمَ، وَكَشَفَ لَهـا سِرَّهـا، وَأخْبَرَهَا أنَّهُ سَيأمُرُ بإحْراقِها، بَدَلاً مِنْ طَبْخ العُجولِ. لكنَّ هِنْداً رَجَتْهُ أنْ يُجْبِرب مَرْيَمَ علـى خَلْعِ أَحْذِيَةِ إخْوتـهـا الـعُجـول، قَبْلَ مُعاقَبَتِها. فأمَرَها ٱلْملكُ أنْ تفعَلَ ذَلِكَ، وإلاَّ أمَرَ بِقَطْعِ رَأسِهَا.

وقـامَتْ مَرْيَمُ، فَخَلَعَتْ ٱلأَحْذِيـةَ مِن أرْجُلِ العُجولِ، فَانقَلَبُوا إلى شَبابٍ كالبُدورِ، فَرِحَتْ بِهِمْ أخْتُهـمْ، وَفَرِحَ بِهِمُ ٱلْمَلِكُ وَحَاشِيَتُـهُ، وَزَوَّجَهُمْ المَلِكُ مِنْ أَخَواتِهِ السَّبْعِ، وَأقيمَتْ ٱلأفْراحُ وَاللَّيالي المِلاحْ.









٩ ـ حِكايَةُ الصَّيَّادِ وَالْعِفريت

كانْ ياما كانْ، كانْ في قَديْمِ الزَّمانِ، صَيَّادُ سَمَكٍ فَقيرٌ، مُتَزَوِّجٌ وَلَهُ سَبْعَةُ أطفالٍ. وَكانَ يَأخُذُ شَبَكَةَ الصَّيْدِ، وَيَنْزِلُ إلى شَاطِىءِ الْبَحْرِ كُلَّ يَوْمٍ، فَيَصْطادُ بَعْضَ السَّمكِ وَيبيعُهُ في السُّوقِ، وَيَشتري بِثَمَنِهِ طَعاماً لأُسْرَتِهِ.



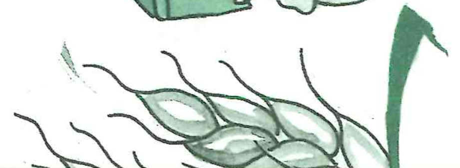
وَحمَلَتْ زوجَتُهُ مِنْ جَديـدٍ، وَمَرَّتْ الأيَّامُ، وَقَرُبَ مَوعِدُ الوِلادَةِ، وصارَتْ الزَّوجَة تُطْلِقُ، فَأَسْرَعَ الصَّيادُ الى البَحْرِ عَلَّهُ يَصْطادُ أكْبَرَ قَدْرٍ مُمْكِنٍ مِنَ السَّمَكِ، لِمُواجَهَةِ الزِّيـادَةِ فـي المَصاريـفِ، النَّاتِجَةِ عَنِ الوِلادَة. وَرَمَى شَبَكَتَهُ، وَانْتَظَرَ بَعْضَ الْوَقْـت، ثُم سَحَبَهـا، وَفَرِحَ وَهُوَ يَحِسُّ بِثُقْلِها، مُتَعَشِماً أنَّها صادَتْ سَمَكاً كَثيراً. لكِنْ خابَ أَمَلُهُ عِنْدَما تَبَيَّنَ لَهُ أنَّ ما في الشَّبَكَة كانَ حِماراً مَيِّتاً.



حَزِنَ الصَّيَّاد، وَخَلَّصَ الشَّبَكَة مِنْ جُثَّةِ الحِمار، وَحمَلَهَا وانتقَلَ الى مكانٍ آخر عَلى الشَّاطِىء وَهُوَ يَقولُ: «يا رَبي عَلَيْكَ الاتكالُ وَعَلَيْكَ رِزْقُ العِيـالِ». وَرمَى الـشَّبَكَةَ مِنْ جَديدٍ، وَانْتَظَرَ وَقْتاً كافِياً، ثُمَّ بَدأ بِسَحْبِها







فكـانتْ ثقيـلَةً، مِمّا جعلَهُ يتَشجَّعُ، وَيأْمُلُ خَيْراً. لكنْ مَعَ الأسَفِ تَبيَّنَ لَهُ بَعدَ أن سَحَبَها أنَّها كانَتْ مَليئَةً بِمُخَلَّفاتِ القُمامَةِ. فَأفْرَغَها مِنْها، وٱنتَقلَ الى موقعٍ آخَرَ عَلى الشّاطىء مِثلما فَعَلَ في المرَّةِ الأُولَى.

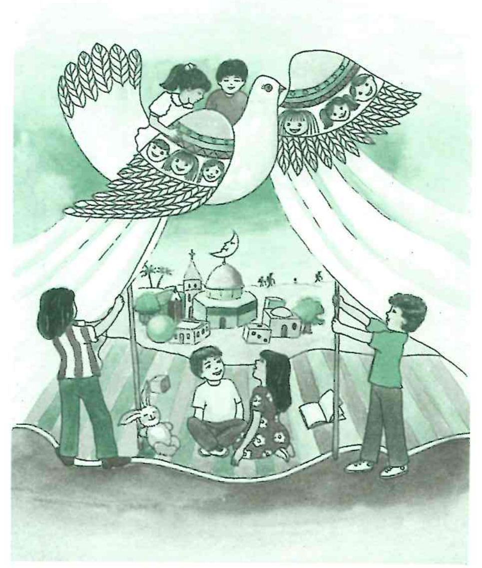
وَرمى الشَّبَكة مِنْ جَديدٍ، وٱنْتظرَ مُدَّةً أطولَ هَذِهِ المَرَّة، ثُمَّ سَحبَ الشَّبَكَة، وإذا بِها قُمقُمٌ (وعـاء كَالأبـريـقِ لـكـن دونَ بُلْبُلَةٍ). وَنظَرَ الصَّيادُ للقُمقُم، فَرآهُ مَخْتوماً بالرَّصاصِ وعَلَيهِ خِتمُ النبيِّ سُليمانَ، فَظَنَّ أنَّ بِهِ ذَهباً، فأزالَ الرَّصاصَ عَنْهُ وَفتَحَهُ.

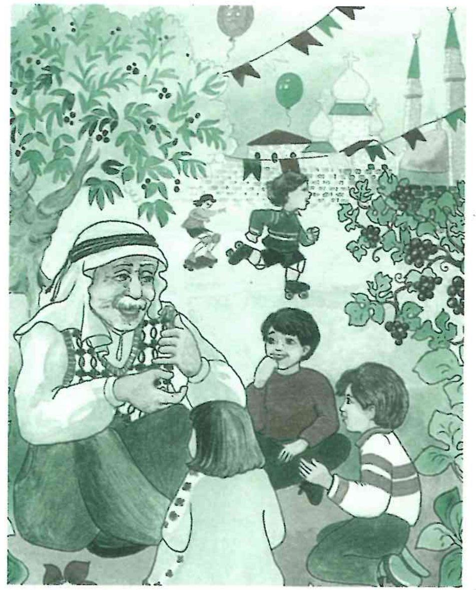
وفي تلكَ اللَّحظةِ، ٱنْطلَقَ مِنَ القُمْقُم دُخانٌ تَصاعَدَ وَتَشكلَ عَلى صُورَةِ عِفْريتٍ مُرعِبٍ، رَأسُهُ في السَّماء، وَقَدماه عَلى الأرض.

ٱرْتَعَبَ الصَّيادُ رُعباً شديداً حتى كادَ يموتُ مِنَ الخوفِ، ثُمَّ ٱنتَبَهَ عَلَى صوت العِفريت يَقولُ لَهُ: «قُل لي كيفَ تريدُ أن أُميتَكَ!» وَصارَ الصَّيادُ يتوسلُ الى العِفْريت أن يَترُكَهُ في حالِ سبيلِهِ، فَهُوَ لمْ يُسيءْ لَهُ، وأَوْلادُهُ صِغارٌ، وَزَوجتُهُ تُطْلِقُ، وهمْ بحاجَة إلى طَعامٍ

فإذا ماتَ هُوَ، أو لَمْ يَصْطدْ مَا يَشتري بِهِ طَعاماً لهم، سَيَموتونَ هُمْ أيْضاً. لَكِنَّ العِفْريتَ أَصَرَّ عَلَى مَوْقفِهِ، وَقالَ للصَّيادِ: «لابُدَّ أنْ تموتَ، ذلكَ منْ سُوء حَظِّك، لأنَّني بعد أن حبسني الملكُ سُلَيمانُ في هذا القُمقُمِ، وَألقى بي في البَحْر، نَذَرتُ أن أُغْنيَ من يُخرِجُني









ويُحَرِّرُني الى ولَدِ الوَلد. ومرَّتْ ألفُ سَنَةٍ ولم يَنشُلْني أَحَدٌ. بعد ذلك، نذرتُ أنَّ مَنْ يَنْشُلُني وَيُحرِّرُني سوف أُميتُهُ المِيتَةَ التي يختارها، فجئتَ أنتَ وَنشَلْتَني، وَحَررتني، وإذنْ، فلابُدَّ أن تَخْتارَ كيف تُريدُني أنْ أُميتَك!»

ولَمّا رأى الصَّيادُ أنْ لا فائِدَةَ مِن التَوسُّلِ للعِفْريت، قالَ لَهُ: «أنت كَذّابٌ، وَأنا لا أُصدِّقُ حكايَتَكَ، فَلَيسَ مِنَ المعقول أنَّ عِملاقاً ضَخماً مِثْلَكَ يتسع لهُ هذا القُمقُم الصَّغيرُ. أنَا أَتحدّاك أن تُثْبِتَ صِحَّةَ حِكايتك، وتَدْخُلَ في هذا القُمْقُمِ أمام عينيَّ، فإذا فعلت، فلكَ ما تُريد»

وَٱنْطلَتِ ٱلْخدْعَةُ عَلَى الْعِفْريتِ، فَانْتَفَضَ وَإذا هُوَ عَمُودٌ مِنَ الدُّخان، رَاحَ يَدْخُلُ إلى الْقُمْقُمِ حَتَّى تَعَبَّأَ فِيهِ. وَفي تِلْكَ اللَّحْظَةِ، هَبَّ الصَّيّادُ مِثْلَ الْبَرْق، ووَضعَ ٱلْغطاءَ الرَّصاصِيَّ الْمَخْتُومَ عَلى بَابِ الْقُمْقُمِ، وَقالَ لِلعِفْريتِ إنَّهُ سَيُلْقيهِ مِنْ جَديدٍ في الْبَحْرِ لِيَظَلَّ مَسْجوناً إلى أَبَدِ ٱلآبِدِين.

صَارَ الْعِفْريتُ الآنَ، هُوَ الَّذي يَتَوسَّلُ إلى

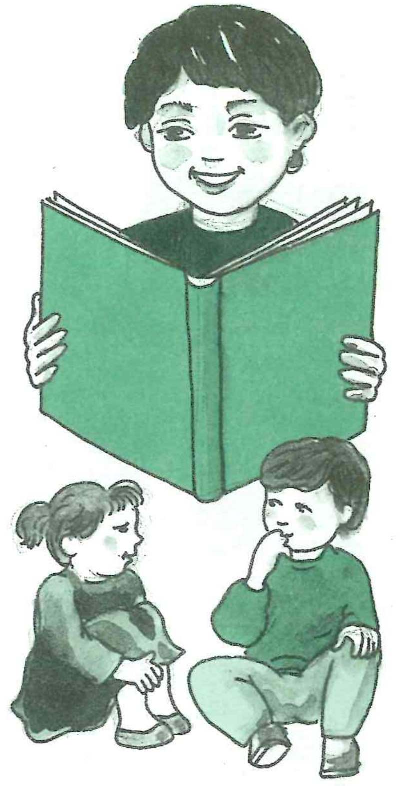






الصَّيَّادِ أَنْ لا يَفْعَلَ ذلِكَ، بَلْ أَنْ يُحَرِّرَهُ، وَأَنَّهُ لَنْ يُؤْذِيَهُ، بَلْ سَيُغْنيهِ إلى وَلَدِ الْوَلَد. وَافَقَ الصَّيادُ، بَعْدَ أَنْ جَعَلَ الْعِفْريتَ يُقْسِمُ قَسَماً عَظيماً عَلى الْوَفاءِ بِما وَعَدَ، وَفَتَحَ الصَّيّادُ الْقُمْقُم، فَانْطَلَقَ الْعِفْريتُ مِنْهُ، كَمَا فَعَلَ في الْمَرَّةِ الأُولى. ثُمَّ غاصَ في الْبَحْرِ، وَعادَ إلى الصَّيّاد، وَمَعَهُ سَلَّةٌ مَليئَةٌ بِالْجَواهِرِ، وَاللُّؤْلُؤ، وَالْمَرْجان. فَرِحَ الصَّيّادُ فَرَحاً عَظيماً، وَشَكَرَ الْعِفْريتَ، وَعادَ مُسْرِعاً إلى بَيْتِهِ، فَوَجَدَ زَوْجَتَهُ قَدْ وَضَعَتْ وَلَداً، فَهَنَّأَها، وَبارَكَ لَهَا، وَبَشَّرَهَا بِمَا حَصَلَ عَلَيْهِ مِنْ رِزْقٍ وَفيرٍ، وَأَعْطاهَا سَلَّةَ الْجَواهِرِ، وَطَلَبَ مِنْها أَنْ تُخَبِّئَها في صُنْدُوقِها. ثُمَّ أَخَذَ لُؤْلُؤَةً، وَنَزَلَ بِها إلى السُّوق، فَباعَهَا بِمَبْلَغٍ كَبيرٍ مِنَ الْمالِ، وَاشْتَرى اللَّحْمَ، وَالْفَواكِهَ، وَكُلَّ حاجِيّاتِ الْبَيْتِ، وَلَوازِمَ الْمَوْلودِ، وَعادَ مَسْروراً إلى بَيْتِهِ.

وَفيما بَعْد، قَرَّرَ الزَّوْجانِ أَنْ يَبْنِيا قَصْراً مِثْلَ قَصْرِ الْمَلِكِ، فَاشْتَرَيا قِطْعَةَ أَرْضٍ مُناسِبَةٍ، وَبَنَيا عَلَيْها قَصْراً فَخْماً، وَعاشا هُمَا وَأَوْلادُهُما عيشَةً راقِيَةً سَعيدَةً.







١٠ ـ حِكَايَةُ قِرْدَةٍ (جِنِّيَّةٍ) بُو سُلْطانْ

أَبُو سُلْطانْ كانَ صَيّاداً يُفَضِّلُ صَيْدَ الشَّنانِير (طُيُورَ الْحَجَلِ). وَفي يَوْمٍ مِنَ الأَيّامِ، حَمَلَ خَرْطُوشَهُ وَخَرَجَ إلى الْجِبالِ بَحْثاً عَنِ الشَّنانير. وَبَعْدَ أَنْ صادَ عَدَداً مِنها، جَلَسَ في ظِلِّ زَيْتُونَةٍ لِيَسْتَرِيحَ. وَبَيْنَما هُوَ لِسٌّ هُناكَ، رَأَى ٱمْرَأَةً بِمَلابِسَ جَمِيلَةٍ، وَفي يَدَيْها الأَساوِرُ وَٱلْخَواتِمُ، وَعَلَى صَدْرِها ٱلْخَراخِشُ، وَفي رِجْلَيْها ٱلْحُجُولُ. رَآها وَاقِفَةً تُنادي دَجاجاتِها قائِلَةً: «تِيعَا، تِيعَا، تِيعَا سِيسْ، تِيعَا عَلَفْ». وَرَأى الشَّنانيرِ تَتَجَمَّعُ حَوْلَها مِنْ أَماكِنَ مُخْتَلِفَةٍ، وَرَآها تَنْشُرُ بَيْنَهُنَّ الْعَلَفَ وَتَعُدُّهُنَّ، ثُمَّ تَقُولُ: «ناقْصاتْ خَمْسَهْ». وَيَنْتَبِهُ هُوَ لما اصْطادَهُ مِنَ الشَّنانيرِ فَإذا الْعَدَدُ خَمْسَةٌ نَفْسُهُ. ثُمَّ يَسْمَعُ الْمَرْأَةَ تَقُولُ: «اللّه يْخون الصَّياد الإنْسي، لَقَدْ أَخَذَ مِنْ دَجاجاتي خَمْساً، لَكِنْ سَوْفَ أُجازيهِ عَلى أَفْعالِهِ». وَأَحَسَّ هُوَ بِٱلْخَوْفِ مِمّا رَأى وَسَمِعَ، وَهَمَّ بالتَّسَلُّلِ لِلانْصِرافِ مِنْ ذَلِكَ الْمَكانِ، لَكِنَّ الْمَرْأَةَ ظَهَرَت فَجْأَةً أَمامَهُ، وَقالَتْ لَهُ: «لا







تَخَفْ، أَنَا لَسْتُ غَاضِبَةً كَثِيراً عَلَيْكَ، أَنَا عاتِبَةٌ عَلَيْكَ فقط، فَلِماذا تَصْطادُ الشَّنانِيرَ، أَلا تَعْلَمُ أَنَّها دَجاجُ الْجِنِّ؟ أَنا جِنِّيَّةٌ، لَكِنَّني حِينَ رَأَيْتُكَ أُعْجِبْتُ بِكَ وَأَحْبَبْتُكَ».

ثُمَّ راحَتْ تُداعِبُهُ وَتُغْرِيهِ، حَتَّى وَقَعَ في حُبِّها، وَصارَ يُعامِلُها كَما يُعامِلُ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ. وَبَدَأَ يُقَضِّي مُعْظَمَ وَقْتِهِ مَعَها. وَلأَنَّ الْجِنِّيَّةَ حامِيَةٌ لأَنَّها مَخْلُوقَةٌ مِنْ نارٍ، صارَ أَبُو سُلْطانَ يَضْعُفُ يَوْماً بَعْدَ يَوْمٍ، حَتَّى لاحَظَ أَهْلُهُ شِدَّةَ ضَعْفِهِ وَهُزالِهِ. وَلَمَّا سَأَلُوهُ عَنِ السَّبَبِ، قالَ لَهُمْ إِنَّهُ لاَ يَجْرُؤُ أَنْ يَقُولَ لَهُمُ السَّبَبَ، إِلاَّ في حُضُورِ شَيْخٍ قَدِيرٍ. وَفَهِمَ أَهْلُهُ الأَمْرَ، فَأَحْضَرُوا شَيْخاً قَدِيراً عَمِلَ لَهُ حِجاباً واقِياً، ثُمَّ قالَ لَهُ: «خَبِّرْنا بِقِصَّتِكَ الآنَ، وَلاَ تَخَفْ فَأَنْتَ مَحْمِيٌّ بِهذَا الْحِجابِ بِقُدْرَةِ اللّهِ. وَبَدَأَ هُوَ يَرْوِي حِكايَتَهُ، وَكانَتْ كُلَّما قالَ كَلِمَةً، تُطِلُّ عَلَيْهِ مِنْ طاقَةٍ عَلى شَكْلِ هِلالٍ في أَعْلَى واجِهَةِ الْبَيْتِ، وَتَتَهَدَّدُهُ وَتَتَوَعَّدُهُ، لا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصِلَ إِلَيْهِ.









وَلَمّا أكْمَلَ الشَّيْخُ إعْدادَ الْحِجابِ الدّائِمِ، طَوَاهُ داخِلَ غِلافٍ مِنَ الْمَعْدِنِ الْخَفيفِ، وَعَلَّقَهُ في عُنُقِه، وَأوْصاهُ ألاَّ يَخْلَعَهُ أبداً، لأنَّهُ إنْ فعَلَ، فَسَوْفَ تُغيرُ عَلَيْهِ وَتَقْتُلُهُ. بَعْدَ ذلكَ، اسْتَرَدَّ بُو سُلْطانَ عافِيَتَهُ، وَصارَ يَخْرُجُ الى الصَّيدِ، وَيأتي ويَعودُ مِثلَ جَميعِ النّاسِ. لَكِنَّها كانَتْ تُلاحِقُهُ عَنْ بُعْدٍ، وَتُهَدِّدُهُ بِقَوْلِها: «لَوْلاَ هَذا السِّياجُ مِنَ الحِجابِ الَّذي عَلَيْكَ، لَكُنتُ أحْرَقْتُكَ بالنّار».

وَفي أحَدِ الايّامِ، وَبَعْدَ جَوْلَةِ صَيْدٍ، نَزَلَ أبُو سُلطانَ إلى عَيْنِ ماءٍ، وَكانَ الطَّقسُ حارّاً، فـأَرادَ أنْ يَستحِمَّ، وَخلَعَ مَلابِسهُ، ثُمَّ خلَعَ الْحِجابَ، ووَضَعَهُ عَلى صَخْرةٍ الى جانِبهِ. وما أنْ فَعَلَ ذلكَ حتّى سَمِعَ صوتاً كأنّه صوت صَاعِقَةٍ تَتَجهُ نحوهُ، فَفَطِنَ للجِنيّة، والتقطَ الْحِجاب بِسُرعةٍ، فَتَوَقَّفَتِ الضَّجَّةُ، وَسَمِعَ الجِنِّيَّة تَقول: «فُتّت بِشِيْلَةِ الرِّجل»؛ أي نجوتَ لأنَّكَ سَبَقْتَني بِخُطْوةٍ واحدةٍ. وَظَلَّتْ تُطارِدُهُ عَلَى هَذِهِ الصُّورَة، الى أنْ غَفَلَ مَرَّةً



وَهُوَ في بَيتِهِ، فَخَلَعَ الْحِجابَ وَوَضَعَهُ جانباً، لَكِنْ غَلَبَهُ النُعاسُ، فَنامَ وَالْحِجابُ بَعيدٌ عَنْهُ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ، وَخَنَقَتْهُ في فِراشِهِ.

وَصارَتْ حِكَايَةُ بُو سُلْطانَ مَثَلاً، فَقَدْ صارَ النَّاسُ يَقُولُونَ عَنْ أَيَّةِ امْرَأَة تُلازِمُ الرَّجُلَ كَظِلِّهِ إِنَّها مِثْلُ «قِرْدَةْ بُو سُلْطانْ».







١١ ـ حِكايَةُ الْحاكِمِ وَالقاضي

كانَ في قَديمِ الزَّمانِ، حَاكِمٌ ظالِمٌ في إِحْدى الْمَناطِقِ، لكِنْ كانَ عِندهُ قاضٍ تَقِيٌّ عادِلٌ يَخافُ اللّهَ في كُلِّ شيءٍ. وَكانَ الحَاكِمُ يَتضايَقُ مِنَ القاضي، لكِنْ يُسايِرهُ وَيَصْبِرُ عَلَيْه، حَتَّى وَصَلَ بِهِ الضِّيقُ حَداًّ لا يُطاق، فقرَّرَ التَّخَلُّصَ مِنهُ. لِذلِكَ اسْتَدعاه يَوْماً، وَأَعْطاهُ رِسالَةً مَخْتومَةً، وَقالَ لَهُ: «هذِهِ رِسَالَةٌ الى الخَليفَةِ أميرِ المؤمِنينَ في دِمشْقَ، وَمَعَكَ مُهْلَةٌ لِمُدَّةِ أربَعٍ وعشرينَ ساعَةً فقط، لتوصِلَ الرِّسالَةَ للخليفَةِ، وتأتِيَني بِالجَواب، وَإلاَّ فإني سأقْطَعُ رَأسَك».

أَحسَّ القاضي بِالمُؤامَرَة، فأخَذَ الرِّسالَةَ وَعادَ الى بَيْتِه مهموماً مَغموماً. وَلاَحَظَتْ زوجَتُهُ حَالَتَه، فَسألَتْهُ عَمَّا يَشْغَلُ بالَهُ، فَحَكَى لَها قِصَّتَهُ مَعَ الْحاكِمِ. وَجَلَسَ الاثنانِ مَقْهورَيْن، يَضْرِبانِ أخْماساً لأَسْداسٍ، وَيَقولونَ: «هذا بَلاءٌ مِنَ اللّهِ، لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلاَّ باللَّهِ». وَمَضى بَعْضُ الْوَقت وَهُما في حَالَةِ حَيْرَة، لا يَدْرِيان ما يَفْعَلانِ. وَعِنْدَ

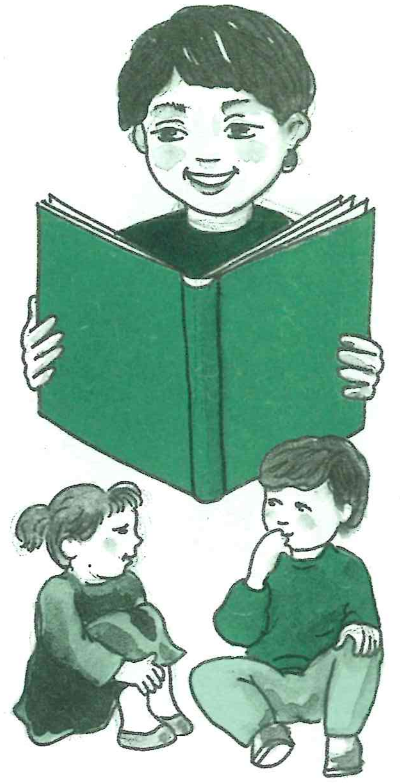






مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ، صَلَّى القاضي قِيامَ اللَّيْلِ، وَخَرَجَ الى الشَّارِعِ لِيَتَمَشَّى قَليلاً أَمامَ دارِهِ، فَفوجِيءَ بِوُجودِ حِصانٍ مُمتازٍ عَلَيْهِ السَّرجُ واللِّجامُ، يَقِفُ هُناكَ عِنْدَ بَوَّابَةِ دارِ القاضي. وَعِنْدَما رآه القاضي فَرِحَ وَوَدَّعَ زَوْجَتَهُ عَلى الْفَوْرِ، وَرَكِبَ الْحِصانَ وَبَدأ رِحْلته الى دِمشق. وَبَعْدَ ساعَةٍ مِنَ الزَّمَنِ، كانَ القاضي قد ابْتَعَدَ عَنِ المدينَة، ولاحَظ أنَّ الْحِصانَ صارَ يَرْتَفِعُ حَتّى صارَ أَعْلَى مِنَ الأشْجارِ القائِمَةِ عَلى جانِبي الطريق. وَكانَ القاضي رجُلاً ذَكياً مُتمكِّناً في الدِّين، فلمَّا لاحظَ ارْتِفاعَ الحِصانِ الْمُتَزايِدَ، عَرَفَ أَنَّهُ لَيْسَ حِصاناً حَقيقِياً، وَإنَّما هُوَ عِفْريتٌ مِنَ الجانِ، تَصَوَّرَ في صورَةِ حِصانٍ. لِذلِكَ مَدَّ القاضي يَدَهُ الى عِمامَتِه، وَأَخْرَجَ مِنْها دَبّوساً كبيراً، وَخَزَ بِهِ الْحِصانَ بِشِدَّةٍ بَيْنَ كَتِفَيْهِ وَقالَ لَهُ: «اقفِزْ يا مَلعون، وأَسْرِعْ في السَّيْر، وَإلاَّ فَسأَقضي عَلَيْكَ بِهذا الدَّبّوس».

وَلَمّا كانَ الْجانُّ يَخافونَ مِنْ كُلِّ ما هُوَ سِلاحٌ مِنْ حَديدٍ، انْكَمَشَ العِفريتُ، وَقالَ لِلقاضي:



«لَقَدْ سَبَقتني، آهِ لَوْ تأخرتَ قليلاً، كُنْتُ سَأرتفعُ بكَ حتى أصِلَ الغيْمَ، ثمَّ أزوغُ مِنْ تَحْتِك لِتَسقُطَ وَتَلقى مَصرَعَكَ. لكن ما دُمتَ قَدْ سَبَقْتَني وَكَشَفْتَني، وَما دام هذا الدَّبوسُ الْمَلعونُ في يدكَ، اُطْلُبْ ما تُريدُ منّي لأُحَقِّقَهُ لَكَ وتَتركَني وَشَأْني». فَأخبره القاضي بحكايته مَعَ الحاكم، وأنَّ عَلَيْهِ أنْ يُوصلَ الرِّسالَةَ إلى الخَليفَةِ في دمشق، ويَعودَ بالجواب خلالَ أربَعٍ وَعِشرينَ ساعَةٍ. وفي الحال طارَ الْحِصانُ العِفريتُ، ووقَفَ بالْقاضي أمامَ قَصْرِ الخَليفَة. وَانْتَظَرَ القاضي هُناكَ، رافِضاً أنْ ينزِلَ خَشْيَةَ أن يَهرُبَ، وَيتْرُكَهُ مَقطوعاً هُناك، حتَّى فَتَحَ القَصرُ أبْوابَهُ. عِنْدَ ذلك، طَلَبَ القاضي مِنْ حاجِب الخَليفة أنْ يُدخِلَ الرِّسالَةَ المستعْجلَةَ، وَيأتِيَهُ بِرَدِّ الخليفةِ عَلَيْها. وَعِنْدما تَمَّ لهُ ذِلكَ، أمَرَ الْحصانَ العِفريتَ أن يُعيدَهُ إلى باب بَيْتِهِ. وَما هِيَ إلاَّ لَحظَةٌ، حتى كانَ الْحِصانُ يَقِفُ بِهِ على بابِ بَيْتِهِ، فاسْتَعَدَّ القاضي، وَقفزَ عَنْ ظَهْرِ الْحصانِ بَعيداً عَنْهُ خَشْيَةَ أن يَرْفُسَهُ.





وَبالفِعل رَفَسَهُ الحِصانُ بِرجلَيهِ الْخَلْفِيَّتين رَفْسَةً لَوْ أصابتهُ لَقَتَلَتْهُ، لكِنَّ اللَّهَ سَلَّمهُ مِنْها. أما الْحِصانُ العِفْريتُ فإنَّهُ طارَ واخْتفَى. وَسَلَّمَ الْقاضي عَلَى زَوْجَتِهِ، وَحَدَّثها بِما تمَّ لَهُ، فَفَرِحَتْ بِمَا سَمِعَتْ، وَهَنَّأَتْهُ بالسَّلامَة. وفي الْموعِدِ الْمُحَدَّدِ، ذَهَبَ القاضي الى مَقَرِّ الحاكِمِ، وَسَلَّمهُ جَوابَ الرِّسالَة، وَعَلَيْها خِتمُ الخليفَة، فَبُهِتَ الْحاكِمُ، وَعَرَفَ أنَّ الْقاضي مِنْ أهلِ اللَّهِ الصَّالِحينَ، فَصارَ لا يَعْصي لَهُ أمراً. وَسَمِعَ النَّاسُ بِالْحِكايَةِ، فَطارَ صيتُ الْقاضي بَيْنَهُمْ.





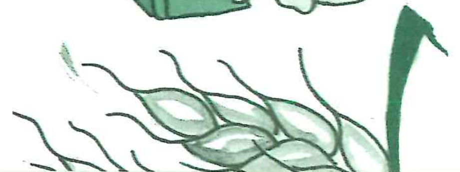
١٢ ــ حِكايَةُ «الطُّوَيِّرْ لِخضَرْ»

كانْ ياما كانْ، كان في قَديم العَصْرِ وَالأوانِ، رَجُلٌ مَاتَتْ زَوْجَتُهُ، بَعْدَ أنْ وَلَدَتْ لَهُ ابْناً وبنْتاً. وَكانَتْ جارَتُهُ أرمَلَةً، صارت تعتني بالوَلَدِ وَالبنْتِ يَوْمياً وَتَتَحدَّثُ مَعْهما، وَتُعْطيهما أفكارَها. فكانَتْ تَقُولُ لَهُما: «خَبِّراني ألا يُريدُ أبُوكُما أنْ يَتَزَوَّجَ؟» وكانا يَرُدانِ قائِلَيْن: «لاَ، لَيْسَ بَعْدُ» فَتَحُثُّها بِقَولِها: «ولماذا لا تقولانِ لَهُ: يا أبانا تَزَوَّجْ جارَتَنا؟». وَيذْهبُ الطِّفلانِ الى أبيهما وَيَقولانِ لَهُ: «تَزَوَّجْ جارَتَنا» وَيَرُدُّ الأبُ قائلاً: «أنْتُما ما زلتُما صَغيرَيْنِ، إنَّني إذا تَزوجتُ الآنَ، فإنَّ امرأةَ أبيكُما سَتَصيرُ تَضربُكُما، لِذلِكَ لَنْ أتَزَوَّجَ إلا بَعدَ أن تَكْبُرا»، ثُمَّ يَقولُ لابْنتِهِ: «سَوْفَ أنْتظِرُ حتَّى تَصيري أنتِ قادِرَةً عَلَى أنْ تَملئي الجَرَّةَ بالماءِ وتُحضريها إلى البَيْتِ». وَتَذْهَبُ البنتُ الى الْجارَةِ وَتُخبرُها بما قالَ أبوها، فتذهبُ الجارَةُ، إلى العَيْن، وَتَملأُ الْجَرَّةَ، وَتُحضِرُها إلى بَيْتِ الرَّجُلِ، وَتَحُثُّ الْبنتَ أنْ تقولَ لَهُ:









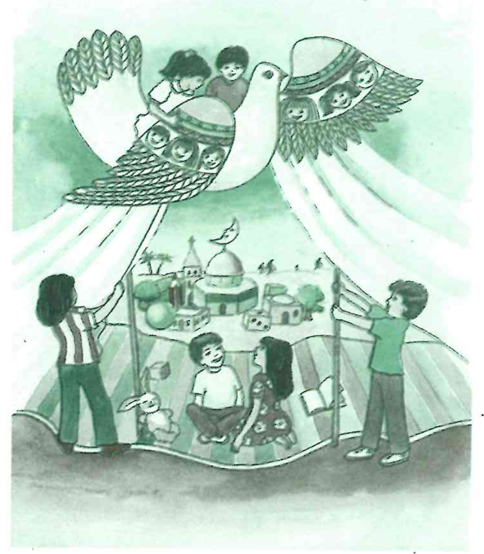


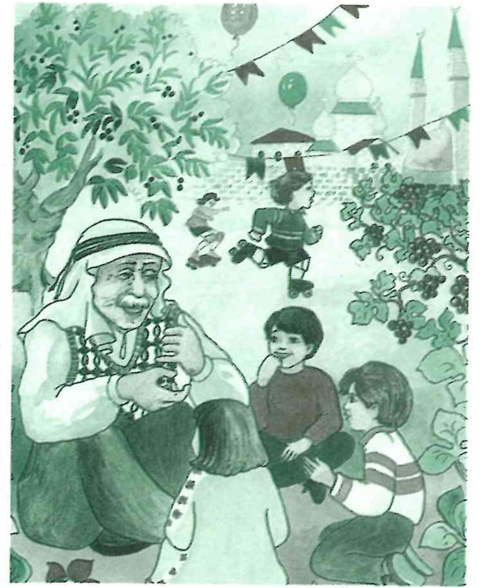
«يا أَبتي، أنا الآنَ كبيرَةٌ، لَقَدْ مَلأتُ الْجَرَّةَ بِالماءِ، وَجِئتُ بِها إلى ٱلبَيْت، تَزَوَّجْ جارَتَنا كما وَعَدْتَني». وَيَقولُ لَها الأبُ: «سَأتَزَوَّجُ عِنْدَما تُصْبحينَ قادِرَةً عَلَى أنْ تَعْجِني العَجينَ، وقادِرَةً عَلَى أنْ تَطْبُخي الطَّبيخَ». وَكُلَّما ذَكَرَ عَمَلاً مِنَ الأعْمالِ المَنْزِلِيَّةِ، كانت الجارة تَأتي إلى بَيْتِهِ وَتُنَفِّذُ ذلكَ العَمَلْ. وفي نفسِ الوَقْتِ، كانَتْ البِنْتُ تَقول لأبيها: «يا أبَتي، هأنذا قَدْ عَمِلْتُ هَذا العَمَلَ، أو ذاكَ العَمَلَ، هَيَّا تَزَوَّجْ جارَتَنا». وَنتيجَةً لِذلِكَ، تَزَوَّجَ الرَّجُلُ تلكَ الجارَةَ، وَصارَتْ تُسيءُ مُعامَلَةَ الطِفلَيْنْ وَتَضْربهُما.

وَفي أحَدِ الأيام قالَ لَها زَوْجُها: «وَاللَّهِ يا زوجَتي إنَّني ٱشْتَهَيْتُ الكَرشاتِ والكَوارِعَ». فقالَت لَهُ: «أحْضِرْ لَنا الكَرشَةَ وَٱلْكَوارِعَ، وَسأطبخها كما تُحِبُّ». وَذَهَبَ الرَّجلُ، فَجاءَ بالْكَرْشاتِ وَالكَوارِعِ، وقامَت هي بِتَنظيفها، وَحَشَتِ الْكَرْشاتِ بالرُّزِّ وَالصَّنَوْبَرِ وَاللَّحْمِ، وَوَضَعَتِ الجَميعَ في القِدْرِ عَلَى النَّار، وَبَدَأتْ تَكْنُسُ ٱلْمِصطَبَةَ رَيْثَما تَنْضجُ ٱلطَبْخَةُ.

وَصارَتْ وهِيَ تُكنُسُ، تَتَوَقَّفُ بَيْنَ ٱلحينِ والحينِ، وَتَأْخُذُ شَيئاً مِمّا في القِدْرِ، لِتَرى ما إذا كانَ قَدْ نَضِجَ، فَتَأْكُلُهُ. وَهكَذا، وَجَدَتْ فَجْأَةً أَنَّها قد أكلَتْ كُلَّ ما في القِدْرِ، فَصاحَتْ قائلَةً: «يا وَيلي، قِرْدٌ يَأخذني! ماذا سَيَفْعَلُ بي زَوجي عِنْدَما يَعود مِنَ الحِراثِ، ولاَ يَجِدُ ما يَأْكُلُهُ مِنَ الكَرْشاتِ وَالكَوارِعِ؟ يا ريتني مْشَحَّرَة، وَاللّهِ لا بُدَّ أَنْ يَذْبَحني! يا بنت روحي نادي لي أخاكِ بِسُرْعَةِ البَرْق». وَتَبكي البنت لأَنَّها عَرَفَتْ ماذا تَنْوي هذِهِ المَرْأَةُ أَنْ تَفْعَلَ بأخيها. وَمَعَ ذَلِكَ تَسأَلُ زَوْجَة أبيها قائلَةً: «ماذا تُريدين أَنْ تَفْعَلي بِأَخي؟» وَتَقول المَرأَةُ: «قُلْتُ لَكِ نادي أخاكِ، فإذا لَمْ تَفْعَلي، فَإِنّي واللّهِ سأقتُلُكِ في الحالِ».

وذَهَبت البِنْتُ فَنادَتْ أخاها بِقَولِها: «يا أخي، تعالَ وَلا تأتِ! تَعالَ، لكِنْ لا تَقتَرِبْ «لأنَّهُمْ سَنّوا لَكَ السَّكاكين، قُدّامَ أبواب الدَّكاكين» وَبَعْدَ ذلكَ تَعُودُ إلى البيت، وَتقولُ لِزَوْجَة أبيها: «لَمْ أجِدْهُ يا خالَتي»، فَتَقولُ













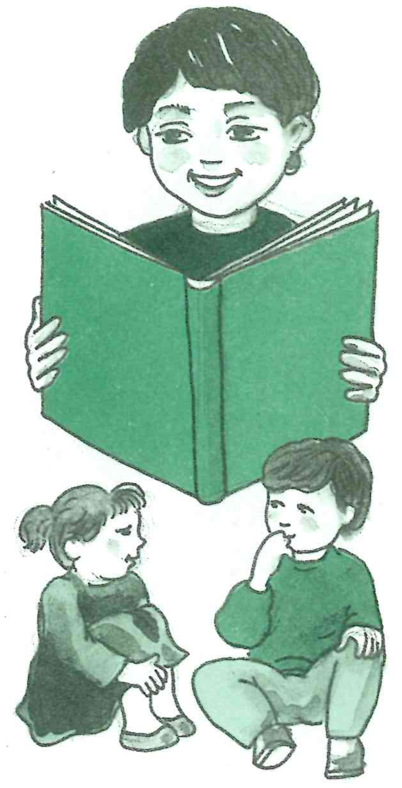
لَها المَرْأةُ: «لَقَدْ أمَرْتُكِ أنْ تُنادِيَهُ، طيري ونادِه، وإلاَّ ذَبَحْتُكِ!». وَتَعودُ الْبنتُ، فَتُنادي أخاها ثانِيَةً، وتقول «يا أخي، تعالَ وَلا تأتِ! تعالَ لكِنْ لا تَقتَرِب، لأنَّهُمْ سَنُّوا لَكَ السَّكاكين، قُدَّامَ أبوابِ الدَّكاكين».

وَأخيراً، قالَت المرأة لِلبنت: «سَوْفَ أذبَحُكِ إنْ لَمْ تُحضريه»، فَذَهَبَتِ البنتُ ونادَتْهُ وَعادَ مَعَها إلى البيت. عِنْدَ ذلكَ أدخَلَتْهُ المرأة إلى إحْدى الغُرَفِ وَسَكَّرَتْ البابَ، وَطَبَخَتْهُ مِثلَما طَبَخَتِ الكوارِعَ، وفي القِدْرِ نفسها. أمَّا أُخْتُهُ، فإنَّها جَلَسَتْ تَبكي وتَنْتَحبُ، لكِّنَ المرأة حَذَّرَتْها قائلَةً: «سوفَ تَموتين إذا أخبرتِ والِدَكِ، أوْ أيَّ شَخْصٍ بِمَا جَرَى».

وَعادَ الأَبُ مِنَ الْحِراثة، وَهُوَ جائِعٌ جِداً، فَسأَلَ الزَّوْجَةَ قائِلاً: «هَلْ طَبَخْتِ الْكَوارِعَ جَيِّداً يا ٱمْرَأَةُ؟» فَقالَتْ: «نعَم». ثُمَّ جَلَسا لِلْعَشاءِ، فَجاءَتْ بِكَرْمِيَّةٍ فَتَّتْ فِيها الْخُبْزَ، ثُمَّ صَبَّتْ عَلَيْهِ ٱلْمَرَقَ، وَوَضَعَتْ فَوْقَهُ اللَّحْمَ، وَجَلَسا يَأْكُلانِ. وَنادى ٱلْأَبُ ٱبْنَتَهُ قائِلاً: «تَعالَيْ يا ٱبْنَتي، كُلي مَعَنا». فَقالَتِ ٱلْبِنْتُ:

«لا، لا أُريـدُ». فقَالَ أَبُوهَا: «لِمـاذا لاَ تُرِيدِينَ أَنْ تَأْكُلي؟» فقَالَتْ: «لأَنَّني شَبْعانَةٌ يا أَبي، فَقَدْ أَكَلْتُ شَيْئاً قَبْلَ قليلٍ». فَقالَتِ الزَّوْجَةُ: «دَعْها وَشَأْنَها، فَهِيَ طُولَ النَّهارِ تَلْعَبُ وَتَأْكُلُ». سَكَتَ الزَّوْجُ قليلاً، ثُمَّ قَالَ لِلْبِنْتِ: «لَكِنْ أَيْنَ أَخـوكِ، أَلا يُريـدُ أَنْ يَأْكُلَ؟» فَقَاطَعَتِ الـزَّوْجَةُ الْبِنْتَ وَقالَتْ: «الْوَلَدُ أَكَلَ قَبْلَ قَليلٍ، وَخَرَجَ يَلْعَبُ. وَعِنْدَما يَعُودُ، سَأُعْطيهِ مَا يَأْكُلُ حَتَّى لَوْ كانَ الْوَقْتُ عِنْدَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ». وَمُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ، كانَ الرَّجُلُ يَخْرُجُ بِغَدَّانِهِ في الصَّباحِ الْباكِرِ، وَيَحْرُثُ، وَيَعُودُ مُتْعَباً وَمُتَأَخِّراً في الْمَساءِ، فَيَسْأَلُ عَنِ الْوَلَدِ، فَتَقُولُ لَهُ زَوْجَتُهُ: إِنَّهُ أَكَلَ وَخَرَجَ لِيَلْعَبَ.

أَمَّا في عَشاءِ ٱلْكَوارِعِ في ٱللَّيْلَةِ الأُولى، فَإِنَّ ٱلْبِنْتَ، أَخَذَتْ عِظامَ أَخيها بَعْدَ العَشاءِ، وَحَفَرَتْ حُفْرَةً في جَانِبِ الْحَديقَةِ، وَدَفَنَتِ الْعِظَامَ فيـها. وَكَانَتْ كُلَّ صَباحٍ، تَذْهَبُ فَتَجْلِسُ عِنْدَ تِلْكَ الْحُفْرَةِ، وَتَبْكي وَتَبْكي إِلى أَنْ تَنْشَفَ دُمُوعُها، ثُمَّ تَعُودُ إِلى ٱلْبَيْتِ. وَفي









أَحدِ الأَيّامِ، صارَ عُرْسٌ في بيْتِ أَحدِ الْجيرانِ، فَلَبِسَ أَبُوها، وَٱمْرَأَةُ أَبِيها، وَكُلُّ بَناتِ الْحارَةِ، أَجْمَلَ مَلابِسِهِمْ، وَراحوا إِلى الْعُرْسِ. وَٱغْتَنَمَتْ هِيَ الْفُرْصَةَ، وَقالَتْ في نَفْسِها: «بِمَا أَنَّ الْمَكانَ خالٍ مِنَ النّاسِ، فَلأَذْهَبْ وَأَسْتَخرِجِ الْعِظامَ، وَأُلْقي نَظْرَةً عَلَيْها». وَعِنْدَما فَتَحتِ الحُفْرَةَ، وَجدَتْ فيها جَرَّةَ رُخامٍ صَغيرَةٍ، فَاسْتَخْرَجَتْها، وَفَتَحَتْها، وَإِذا بِطائِرٍ أَخْضَرَ يَطيرُ مِنْها. وَنَظَرتْ في الْجَرَّةِ، فَإِذا فيها أَساوِرُ، وَخَواتِمُ، وَحَلَقُ أُذُنَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ. وَكانَ فيها أَيْضاً فُسْتانٌ جَميلٌ. فَلَبِسَتِ الْبِنْتُ الْفُسْتانَ، وَالْمُجَوْهَراتِ، وَذَهَبَتْ إِلى الْعُرْسِ. وَصارَ كُلُّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْها يُعْجَبُ بِجَمالِها، وبِجَمالِ فُسْتانِها وَمُجَوْهَراتِها، لَكِنْ لَمْ يَتَعَرَّفْ عَلَيْها أَحَدٌ. وَبَعْدَ قَليلٍ، وَعِنْدَما سارَ مَوْكِبُ الْعَروسِ، جاءَ طَيْرٌ أَخْضَرُ، وَرَفْرَفَ فَوْقَ رَأْسِ الْعَروسِ، وَغَنَّى قائلاً: «أَنا الطُّوَيِّرْ لِخْضَرْ، وَما حَضَرْتِ الْمَحْضَرْ، وَمَرْتْ أَبُويْ طَبَخَتْني، وَأَبُويْ أَكَلَ مِنْ لَحْمي، لَكِن أُخْتي الْحِنَيِّنة، أَللّه يِحِنّ عَلِيها، لَمْلَمَت





غْظيماتي، وْخَبِّتْهِنْ تِحْتِ رْخيماتي».

وَصارَ الناسُ يَقُولُونَ لِبَعْضِهِم بعضاً: «انْظروا، هُناكَ طَيْرٌ يَتَكَلَّمُ». وَانْشَغَلُوا بذَلِكَ عَنِ الْعُرْسِ، وَصاحوا عَلَيْهِ قائِلين: «قُولْ يا طِيرْ، مَا أَحْلَى قَوْلَكْ!». وَرَدَّ عَلَيْهِمْ الطَّيْرُ قائِلاً: «لَنْ أَقولَ أَيَّ شَيْءٍ، إلاّ إذا فَتَحَتْ تِلْكَ الْمَرْأَةُ الْواقِفَةُ هُناكَ فَمَها». وَتَفْتَحُ امْرَأَةُ أَبيهِ فَمَها، فَيُسْقِطُ فِيهِ حَفْنَةً مِنَ الإبَرِ وَالدَّبابيسِ، فَتَبْلَعُها وَتَمُوتُ. وَيَهْتِفُ النَّاسُ قائِلِينَ: «قُولْ يا طِيرْ ما أَحْلى قُولَكْ!» فَيَرُدُّ عَلَيْهِمْ قائلاً: «لَنْ أَقُولَ أَيَّ شَيْءٍ إلاَّ إذا فَتَحَ ذَلِكَ الرَّجُلُ الَّذي يَقِفُ هُناكَ فَمَهُ». وَيَفْتَحُ أَبُوهُ فَمَهُ، فَيُسْقِطُ الطَّيْرُ فِيهِ حَفْنَةً مِنَ الإبَرِ وَالدَّبابِيسَ وَيَبْلَعُها الأَبُ وَيَمُوتُ. وَيُلِحُّ الْجُمْهورُ عَلى الطَّيْرِ مِنْ جَديدٍ قائِلينَ: «قُولْ يَا طِيرْ ما أَحْلى قُولَكْ!» فَيَرُدُّ عَلَيْهِمْ قائِلاً: لَنْ أَقُولَ أَيَّ شَيْءٍ إلاَّ إذا فَتَحَتِ الْبِنْتُ الَّتي تَقِفُ هُناكَ حِضْنَها». وَتَفْتَحُ أُخْتُهُ حِضْنَها، فَيَهْبِطُ الطَّيْرُ، وَيَحُطُّ في حِضْنِها، وَفَجْأَةً يَتَحَوَّلُ إلى وَلَدٍ











مِثْلَما كانَ في الأَصْلِ، وَيُمْسِكُ بِيَدِ أُخْتِهِ، وَيَذْهَبانِ مَعاً إلى بَيْتِهِما حَيْثُ ما زالا يَعِيشانِ سَعِيدَيْنِ.

«وَطارِ الطَّيْرْ وتِتْمَسّوا بِالْخير».

كَانَ يَا مَا كَانْ

القصص الشَّعْبِيَّة

موسوعة ميسَّرة للصِّغار

إصدار
مجلة الحياة للأطفال
ص.ب ٤٦٥٤١ حيفا ٣١٤٦٤
تلفون: ٠٤/٨٦٧٧٦١٩ – ٠٤/٨٦٤١٦٩١
فاكس: ٠٤/٨٦٤١٦٩١

